وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

حسن البنا

بين ظلم حساده وسهو أحفاده

د. منير الركراكي

المصدر: موقع العدل و الإحسان www.aljamaa.com

تجميع و عناية
مكتبة الخطاب
www.khitab.com

الفصل الأول: مقدمات

- مقدمة
- بين يدي الكتاب
- قراءة في العنوان
- الرجل والفكرة في أعين المنصفين
- تجديد واجتهاد واستشهاد فهل من منصف؟

مقدمة

الحمد لله أفضل الدعاء، هو الذكر ولا سؤال، والحمد لله شكرا على فضل الله ورحمته بها نستزيد من العطاء والنوال، والحمد لله

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله على كل حال. والصلاة والسلام على سيد الرجال، محمد من أوتي من كل حسن كمال الكمال، ووعد بالمقام المحمود في المآل. وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وذريته والآل والصحب الكرام ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،

فإن الدين عند الله الإسلام. والإسلام رحمة ونعمة وحكمة. والرحمة خلق رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وحاله "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" (الأنبياء، **107**)، "فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله" (آل عمران، **159**) "بالمؤمنين رؤوف رحيم" (التوبة، **128**).

والحكمة قول رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وفعله، وعلمه وتعليمه؛ وقد أوتي، صلى الله عليه وسلم، جوامع الكلم. وهل جوامع الكلم إلا حكمة تسقى بماء واحد هو الوحي، ويفضل الله فهم بعضنا لها عن بعض في الأكل. وهل فعله إلا السنة النبوية الشريفة، وهي المحجة اللاحبة البيضاء المنجية، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك "هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين" (الجمعة، **2**).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والنعمة صحبة رسول الله، ومحبته، وطاعته وإسوته الحسنة، وكفى بها نعمة. إذ "الرجل على دين خليله" (رواه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح، وقال فيه الترمذي: حديث حسن)، و"المرء مع من أحب" (روى الترمذي أن رجلا سأل النبي، صلى الله عليه وسلم، قائلا: يا رسول الله، الرجل يحب الرجل على العمل من الخير يعمل به ولا يعمل مثله. فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "المرء مع من أحب"). وعند الوداع كان الدين قد كمل، والنعمة قد تمت "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا" (المائدة، 3). إنها نعمة النعم، الأكمل والأتم، أن تحب من حبه واجب، ومن حبه ينفعك عند الله، ومن حبه وطاعته واتباعه هي شرط محبة الله لك ومغفرته "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم" (آل عمران، 31).

ولكن أنى لنا بمعرفة الإسلام حق المعرفة، والوقوف على حقيقة رحمته وحكمته ونعمته في ظل هذا الواقع المفتون الذي هو الدخن وفيه خير؟!

ومما يزيد هذا الطين بلة، كون هذا الخير الذي في الدخن، يحال بيننا وبينه بأكثر من حيلة ووسيلة، نجملها في الأربعة الكبار الذين عنهم تتفرع باقي المشوشات: ظن الجاهلية إلحادا وجحودا وكفرا، وحكم الجاهلية عضا واستبدادا وجورا، وحمية الجاهلية تعصبا وتحزبا لراية عمية ونعرة عرقية سرا وجهرا، وتبرج الجاهلية عريا وخبثا وعهرا. وهل ينتظر من الجبر غير هذا، وما يتفرع عن هذا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

من ظن سيء بالمؤمنين، وحكم جائر على المؤمنين، وحمية حاقدة على المؤمنين، وتبرج فاتن محيط بالمؤمنين من كل جانب.

والأدهى والأمر من هذا كله، أن تجد بعض المؤمنين يساهم في هذه المظاهر الجاهلية بشكل من الأشكال، إذ يزكي هذا الحكم وهذا الظن وهذا التبرك وتلك الحمية؛ شاء أم أبى، علم أم لم يعلم، إن بشيطنة خرساء، أو ببهتان وافتراء، أو بحملة شعواء تعمي عن رؤية المنكر وأهله، وتصم عن سماع صوت الحق وأهله، وتشهر سيف فهمها القاصر وحكمها الجائر لتحز به رأسا غاظها أن ارتفع في وقت انحنت فيه الرؤوس، ولتطعن ظهرا غاظها أن تروض ظهور ويظل هو المتمنع المستعصي على الركوب.

ويزداد الطين بلة والحشف سوء كيلة، إذا أصاب هذا الحيف الأموات. فإذا أسيء للأحياء من علماء الأمة وصلحائها ومجاهديها ومجتهديها، فقد يلتمس العذر للمسيء إن أساء، لأن "المعاصرة حجاب" كما يقال، ولأن الدنيا أرض ابتلاء وبلاء، وإنما يبتلى المؤمن على قدر إيمانه. ولأن هناك جهات متعددة يهمها أن ينوب عنها نائبون، طائعون أو مكرهون، جاهلون أو حاسدون أو منافسون، في دعم الحصار المضروب على دعوة الله، وعلى العلماء العاملين الشاهدين بالقسط القائمين لله بالحق، لتتفرغ هي إلى شعب حيل بينه وبين سماع كلمة الحق، ومجالسة أهل الحق، وقراءة الفكر الناصح بالحق والفاضح للباطل وأعداء الحق. لتتفرغ هي إلى شعب بدأ يعود إلى دين الله، ويتوب إلى رشده من غي السنين العجاف بعيدا عن فضل الله ورحمته. وتجهض فيه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بادرة هذا الرجوع والسجود بعد سهو القرون المظلمة عضا وجبرا، لتلزمه بطقوس الركوع والخضوع لإرادة الإدارة غير المستقلة عن مكر الليل والنهار، هنا وهناك وهنالك، حتى لا يبقى للإسلام ولرحمته وحكمته ونعمته صوت يسمع، ولا صورة ترى، ولا أريج يشم، ولا حقيقة تلمس، بل –ونسأل الله ألا يحقق رجاءهم، وألا يجدوا منا عونا على تحقيقه– ولا مستقبل ينتظر ويؤمل.

ولكن ما بال هؤلاء لم يكفهم المكر بالأحياء، أو دعم المكر بالأحياء، أو الصمت عن المؤامرة المكيدة لمحاصرة الأحياء ممن تعقد الأمة عليهم، بعد الله، آمالا جساما أن يجددوا لها أمر دينها؛ ما بالهم يلتفتون إلى الأموات إمعانا في المكر ودعم المكر، وإغراقا في الحيلولة دون الأمة ودون ما تشتهيه من رؤية الحق حقا، ورؤية الباطل باطلا، حتى تتبع وتجتنب، وتنتسب وتنسحب، لتكون سلما لأولياء الله، حربا على أعداء الله، تحب بحب الله من أحب الله، وتعادي بعداوة الله من عادى الله.

ما بال النباشين على القبور، لا يذكرون موتاهم بخير، ويبحثون بعين متقدة تتطاير منها شرارات الشرور. وأكبر من ذلك ما تخفي الصدور، لأجل تشويه سمعة أئمة الهدى والتقى والرشاد، من كانوا ولا يزالون صفوة العباد، وآيات نقلت عنها أحاديث صحيحة تروي جميل ما قدموا وما أفضوا إليه من تربية وعلم وجهاد.

وهنا نصل إلى بيت القصيد لنخص بالذكر تعيينا واحدا من أولئك الأموات الأحياء، الذين أحيوا أمتهم بنموذجية تربيتهم وتعليمهم وجهادهم من موات، ونفخوا فيها أكسجين الحياة "ولا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون" (آل عمران، **168-170**). عسانا نكون من أولئك الذين من خلفهم فلا يخاف علينا ولا نحزن، وباستبشارهم نفور ونمضي بعدهم على الأثر.

ومن خلال عنوان الكتاب يتبين أن المقصود بهذا الذكر الحميد هو الأستاذ "حسن البنا" الشاهد والشهيد، رحمه الله.

وإنما قصدنا حسن البنا، سيرته وفكرته ودعوته وموته، وشهادات المنصفين حول شخصيته وجماعته، وصفحات مشرقة من مذكراته، وشهادات موثقة من رسائله وأصوله وبعض مواقفه وآرائه وتوجيهاته وإرشاداته، لنذكر ونحذر ونبرر.

لنذكر بأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وأنى لك أن تتصور شيئا فاتك أن تراه وتسمعه وتقرأ له وتعاشره؛ وإذا رأيته فبأي عين رمقته، هل بعينك أم بعين أعدائه وحساده؛ وإذا رأيته يعينك، فهل عينك سليمة أم عليها غشاوة تحجب الرؤية، ونظارتان سوداوان يصطبغ بسوادهما ما تراه ومن تراه؛ أم أنك تنظر ولا تبصر: "فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور" (الحج، **46**).

وإذا سمعته، فهل أصغيت إليه بأذنك، أم بأذن الأعداء والحساد؛ وإذا سمعته بأذنك، فهل في أذنك الوقر، لا يزال، أم أنها الأذن منك يسكنها شريط معبأ بالأحكام المطبوخة الجاهزة التي لا تقبل إلا مزيدا من الماء حتى لا تجف، ومزيدا من التحريك حتى لا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تحترق، فيفتضح فسادها. وإذا قرأت له، فبعقل يقظ فطن، أم نائم مخدر؛ وبعقل مستقل نزيه، أم عقل مستعار سفيه؛ وبعقل يبحث عن الحق والحقيقة، أم بعقل راض عن نفسه منتصب ليكون معيار الحق والحقيقة. وإذا عاشرته فهل بنفس مطمئنة بالخير لوامة على الشر، أم نفس أمارة بسوء الحسد والحقد والكيد، والتنافس غير البريء على المنافع والمطامع، والتنازع المقيت على المكاسب والمناصب؟.

ولنحذر من حكم نصب نفسه، ولم ينصبه أحد، قاضيا بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير. ولنحذر أيضا حكما نصيب به قوما بجهالة فنصبح على ما فعلنا نادمين؛ ونقف بين يدي ربنا يوم الحساب، يوم يرفع عما اختلفنا فيه الحجاب، فيرى كل على حقيقته، ويعطى كل على قدر عقله ونيته، وحكمته ورحمته. وعندها نعلم علم يقين الظالمين من المتقين، فيقال للمظلوم تقدم، ويقال للظالم لا تتكلم. وهل ينفع كلام في ذلك المقام؟! وقد حصحص الحق وأفضى كل إلى ما قدم "فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره" (الزلزلة، **7–8**). وهل ذرة من شر أن تنعت من الله أعلم باستقامته وصلاحه وسلامة نيته وطويته، بالنفاق والشرك والكفر؟! "وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم" (النور، **15**). يومها يود المفلس لو تبقى له حسناته التي بفضل الله ورحمته اقترفها، فيلفيها قد نفذت في إرضاء صحيفة من ظلم. وهل هناك أغبى من متاجر إن صدق فلا تتريب عليه، وإن لم يصدق أو لم يصب حاق به مكره السيء. "ولا يحيق

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المكر السيء إلا بأهله" (فاطر، 43). فإن لم يكن مكرا ولم يكن صوابا رد الحكم عليه، بل رد الحكم إليه.

ولنبرر أن كلامنا عن الرجال ليس كلاما مجانيا استهلاكيا اعتباطيا، بل هو شهادة، وشهادة مسؤولة، خاصة إذا كان هؤلاء الرجال ممن ظهرت في بداية حياتهم إشارات ربانية تتنبأ لهم بالصلاح والفلاح، ونشأوا في عبادة الله أطفالا وشبابا وكهولا، وقضوا نحبهم بعدما "صدقوا ما عاهدوا الله عليه" (الأحزاب، 23) "وما بدلوا تبديلا" (الأحزاب، 23)، بل أوذوا "فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا" وقتلوا تقتيلا.

ولنبرر أيضا، أن الظلم الذي أصاب من سموا "صوفية" من قبل من ذكرنا أمثاله، ممن لا يقرأ ولا يرى ولا يسمع ولا يعاشر –إن قرأ ورأى وعاشر وسمع– إلا بعقل فطير، وبصر حسير، وأذن كليلة، ونفس عليلة؛ أو أصابهم من بني جلدتهم الذين غيروا وغرروا، فابتدعوا وكان أسلافهم تابعين، وقعدوا وكان أجدادهم مدافعين، وصمتوا عن المنكر الأكبر، وكان من قبلهم بالحق صادعين، ونسجوا على منوال من تجارب الأولين، في عصر غير العصر، وقد كانوا مستظلين بخير فيه دخن، أما اليوم فالأمة في دخن فيه خير، وأين من أصله خير ممن أصله دخن.

ولنبرر أن هذا الظلم الذي أصابهم –نعني الصادقين منهم– يدعونا إلى إنصاف يرفع اللبس، ويزيل الدس، ويستفيد من الدرس، ليقدمه إلى من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، مقدمات توضح المراد، وشهادات من منصف رشيد، ومذكرات

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

هي جملة من أقوال الشهيد وأفعاله ومواقفه وآرائه، وتعليقات من القارئ الذي نريد، علنا نقرأ مثله قراءة طالب الحق، الباحث عن الحقيقة، فنفيد ونستفيد، ومن الخير نستزيد.

من هنا كان تقسيمنا الكتاب إلى خمسة فصول:

الفصل الأول: مقدمات.

الفصل الثاني: شهادات.

الفصل الثالث: مذكرات.

الفصل الرابع: خلاصات وملاحظات.

الفصل الخامس: دروس وعظات.

ولعل اختيارنا لحسن البنا، رحمه الله، دون غيره من الرجال آت من عدة أسباب: نجملها في ما يلي:

1. لأنه قريب العهد بنا، مما يعطينا ضمانات أكثر على صدق الخبر الذي نذيعه عنه، والأثر الذي ننقله مما كتب عنه وما كتبه هو، رحمه الله، أو قاله.

2. لأن حسن البنا، رحمه الله، بدأ صوفيا وأنهى مسيرته شهيدا. وبين البداية والنهاية قضى زهرة عمره وارثا نبويا، ومبعوثا مجددا ربانيا شاهدا بالقسط وداعيا لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهديه، فكانت دعوته دعوة ربانية نبوية جامعة.

3. لأن علماء الأمة المنصفين شهدوا أنه مجدد القرن الرابع عشر الهجري. وما اجتمعت أمة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على ضلال؛ خاصة إذا كان هذا الاتفاق من علماء عاملين عدول ثقات سابقين صادقين. وسنورد من أقوالهم في الرجل ما يؤكد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الشهادة ويثبتها، حتى لا يرقى إليها شك، ولا يصمد في وجه سلامتها وصحتها جدال. وهذا لا يعني عدم وجود بعض الشهادات المضادة التي عارضت فكر الرجل وآراءه ومواقفه في حياته وبعد مماته، لكنها من القلة بحيث تبدو شاذة ناشزا، وبعضها يضيف إلى شذوذ القلة شذوذ الحيلة والوسيلة، إذ يصدر الأحكام على عواهنها، ويكيل التهم ادعاء دون بينة أو بصيرة، ويروج للأنباء الفاسقة دون استيضاح. وهل فرق شمل الأمة، وشتت الكلمة، وخالف بين القلوب، وجعل بأسنا بيننا شديدا إلا الحلافون الهمازون المشاؤون بنميم، الصخابون العيابون الطعانون اللعانون، من حرموا نعمة القلب السليم، فهم إما سوي على صراط معوج، أو معوج على صراط مستقيم "أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم" (الملك، 22).

4. لأن حسن البنا، رحمه الله، يعد بحق أبا الصحوة الإسلامية. وهذه الأجيال التائبة الراجعة إلى الله، المقبلة على دعوة الله في غربة الإسلام الثانية بين يدي خلافته الثانية –التي نحن لها بالأشواق– مدينة له بشرف السبق، وحق على المدين أن يرد ما عليه من دين، وأنى له. ولكن ما لا يدرك كله من سداد هذا الدين لا يترك جله، أو فلنقل بعضه.

فلعل هذا الكتاب بعض من الشكر نقدمه هدية لروح حسن البنا، رحمه الله، وأبنائه البررة، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله. وقد بذلت في سبيل إخراجه جهدا أسأل الله أن يكون مقبولا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عنده في ميزان حسناتي وحسنات حسن البنا بفضله ومنه جل من كريم، لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه.

ورغم أن الشهيد حظي، أكثر من غيره، كما حظيت حياته ودعوته، باهتمام بالغ، ودراسات مستفيضة، وأبحاث جامعية متنوعة تناولت جوانب كثيرة من فكره ومواقفه وجهاده، فإن أغلب ما كتب كان يثني على الرجل أكثر من الوقوف على مدعاة أحقيته بالثناء، أو يرصد ركائز دعوته الجامعة. وفي زحمة الفضائل والأفضال ذكرا وثناء، قد لا نوفي بعضها –وقد يكون هو الأصل الذي عنه تفرع ما سواه– حقه من التفصيل والتحليل والتمثيل.

وقد نختلف في تمثل أصول دعوة البنا، فيركز بعضنا على بعضها، ويركز الآخر على البعض الآخر. وقد يعمد كثير منا تحت ضغط الواقع المتغير، وظلال السيوف المصلتة على رقاب الصوفية أو من اشتمت منهم رائحة الصوفية، محبة بروح الله صافية نقية، أو ذكرا لله مطمئنا مزكيا، أو صدقا في طلب وجه الله خالصا وفيا، أو سلوكا مجاهدا للنفس معتدلا سويا، أو علما من لدن الله رطبا جنيا، أو سمتا حسنا وتؤدة في معاملة خلق الله وحالا سنيا –وهل يعد هذا وغيره، ممن هو على شاكلته، إلا عطاء ربانيا وهديا نبويا. فيؤول كلام الرجل تأويلا معتسفا يحرفه عن موضعه، أو يبرر مواقف الرجل وآرائه تبريرا يلوي عنقه بعيدا عن قصد الشهيد ومرماه، وغاية ما أراد ومعناه. فكان لابد من البحث عن ثوابت فكره وأصول دعوته، أخذا لها بأمانة عنه من كتاباته (مذكرات ورسائل وأصول). أو عمن عاشره من الأبناء الأقربين المعتبرين،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بعيدا عن اعتساف الحاسدين، وعدم إنصاف الجاحدين، أو إنكار بعض الأغرار الجاهلين.

كما كان من الواجب علينا أن ننقب عن قراءات وكتابات تتناول الرجل وفكرته وجماعته بتحليل سليم.

وقصدنا من هذا كله، ألا تقطع رحم هذه الصحوة بنسيان الأحفاد جدهم، وأن نعرف فضل قراءة سير الرجال: لمن نقرأ؟ ومن يقرأ؟ وكيف يقرأ؟ ولماذا يقرأ؟ وما العمل بعد أن يقرأ؟ فلعل قراءة من هذا النوع تنفعه –أستغفر الله– بل تنفعنا، في استكناه الخير واستجلاء طريقه ومعرفة أهله؟ فنحب الخير وأهله، وإن قدرنا عليه بادرنا إليه، وإن فاتنا حزنا عليه، وحننا إليه.

وعلى نموذجية حسن البنا "الرجل"، ونموذجية جماعته ودعوته "الفكرة" –ما دام الاتفاق قد تم أو كاد على أنه من مجددي هذه الأمة بل آخر مجدد فيها على رأس المائة الماضية– علينا أن نقيس نموذجية "الرجل" الذي نريد، و"الجماعة" التي نريد في هذا القرن الهجري الجديد.

فإن وفقنا فمن الله، فحمدا وشكرا، وبحمده وشكره تتم الصالحات، ومن الله ما بنا من نعمة وما اقترفنا من حسنات. وإن أخطأنا فمن النفس والشيطان، فالحمد لله على كل حال، ونعوذ بالله من حال أهل النار في المحيى والممات. وإنما وجه الله أردنا، والنفع للمسلمين التمسنا، وإلى الصواب قصدنا، وعلى الله اعتمدنا، ورجال الإحسان ذكرنا، وبذكرهم تتنزل الرحمات. و"إنما الأعمال بالنيات".

This file was downloaded from QuranicThought.com

بين يدي الكتاب

لا يجادل اثنان، وما ينبغي لهما وما يستطيعان، في إنكار قوة هذه الصحوة الإسلامية المتنامية كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، خاصة بعد أن شاهت الوجوه غير المضيئة، وشلت الأيدي غير المتوضئة، وأعلنت المذاهب إفلاسها، وخرت الأوثان على الأذقان مثلما تساقط أوراق الشجر في الخريف. فمن انقطاع التيار الشيوعي، إلى انكفاء المد القومي، إلى تحسر الفكر اللائكي من جلده، إلى خروج السيف الصهيوني والصليبي من غمده، إلى إفصاح النظام العالمي القزحي الحربائي عن حقده. وكل ذلك ساهم مساهمة فعالة في إعلاء كلمة الإسلام، وتعميم صحوته، وتدعيم حركته، لتصبح أمل الشعوب المستضعفة عامة، والإسلامية على وجه الخصوص، تلك التي عانت الأمرين وسيمت الخسف ومنعت النصف وتكالب عليها الأعداء وتداعوا مثلما تتداعى الأكلة إلى قصعتها. فما من حديث اليوم، وغدا، إن شاء الله، إلا عن الإسلام صوت الجنوب الذي يقض مضجع المستكبرين، وينادي على الحائرين: أن تعالوا لنصحو، هلموا لنتحرك، وهيا لنسعى إلى الدين توبة، وإلى الله نرقى إيمانا وإحسانا، ولنركب فلك الإسلام قبل الطوفان. فما بعد العض والجبر إلا خلافة على منهاج النبوة يرضى عنها ساكن الأرض وساكن السماء، لا تترك الأرض من

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

خيراتها إلا أخرجته، ولا السماء من بركاتها إلا أنزلته، حتى يدخل الإسلام كل بيت مدر ووبر خبرا ثم أثرا، ثم فتحا ونصرا.

هذه الصحوة المتنامية والحركة الفاعلة المؤثرة المغيرة، المصدقة لما بين يديها من تراث الأسلاف، المهيمنة عليه باجتهاد وتجديد على مستوى العصر وتحدياته، والواقع وعقباته، والنفس وأمراضها، والدنيا وهرجها ومرجها وبهرجها. هذه الصحوة لم تنزل علينا من السماء جاهزة مملاة، بل أنبتها الله بين ظهرانينا نطفة فكرة، ثم علقة دعوة، ثم مضغة حركة، فعظام قوة، فلحمة رحمة، لينشئها الله صبح قريب، إن شاء الله، خلقا جديدا، دولة سوية وخلافة نبوية، فتبارك الله أحسن الخالقين.

أنشأها الله من صلب أب وأم، هما حسن البنا، رحمه الله، وجماعة "الإخوان المسلمون" أيدها الله. فمن هو حسن البنا أبو الصحوة الإسلامية؟ وما هي جماعة الإخوان المسلمين؟ وبتعبير أحد أعلام هذه الجماعة، من الرجل وما الفكرة؟

قبل الجواب عن هذين السؤالين باختزال شديد، يوضح ما نرومه وما نريد، نقف وقفة قصيرة مع عنوان هذا الكتاب، فلعل تبيان الهدف منه مساعد على قراءته، ثم الاستفادة من فكرته.

قراءة في العنوان

لعل القارئ الممعن النظر في مفردات عنوان هذا الكتاب يستدرك عليه أن أقام لفظ "الحساد" مقام الأعداء، ولفظ "الأحفاد" محل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لفظ الأبناء، والحقيقة أن ذلك كان مقصودا لتبيان أمرين اثنين غاية في الأهمية:

الأمر الأول أن العدو لا ينتظر منه إنصاف وعدل، لأن العداء يعمي ويصم، ويذهب بصاحبه مذهب الظلم والجور، إذ يجره إلى ميدان النزال والمواجهة بوازع من اختلاف المشرب والمسرب، والغاية والهدف، والمنهج والسلوك. فهو منسجم مع موقفه متوافق مع منطلقه ومقصده. وإنما ينتظر ممن بينك وبينه وشائج قربى المنطلقة والغاية، والشرعة الربانية والمنهاج النبوي، أن يكون شاهدا عدلا منصفا ونزيها. فإذا لم يكن كذلك، كان عداؤه حسدا. و"ظلم ذوي القربى أشد مضاضة". والحسد من تلك الحالقة التي تحلق الدين، ومن تلك الغشاوة التي تحجب عن البصر رؤية الحق حقا قبل اتباعه، ورؤية الباطل باطلا قبل اجتنابه؛ بل إنها قد توهم المبطل بسرابية جوفاء أنه على الحق، وبرمادية تذروها الرياح أن غيره على باطل، وبنعامية حمقاء بلهاء أن الله نصبه لهذا الدين حكما يحكم بين المختلفين، وقاضيا يقضي، ومحتسبا يميز الغث من السمين، والأصيل من الهجين. فهو وحده يفهم الكتاب والسنة. هو العدل الثقة الذي ينفي عن الدين انتحال المبطلين، وتحريف الغالين، وتأويل الجاهلين. وما هو إلا حسود حرم سلامة القلب وصفاء السريرة، فشهد بزور، وخاصم بفجور.

فالظلم المنبه عليه هنا هو ظلم الحاسد الذي لا ينزل الناس منازلهم، ولا يعرف الفضل لأولي الفضل، والذي لا يقبح القبيح

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويحسن الحسن، بل يقبح المليح ويوهيه، ولا يحسن الحسن ولا يقويه. وهو مع هذا صخاب عياب طعان لعان، يشاغب عنده طنين الذباب عن موائد الخير، وتشوش لديه الشعرة على صهريج من حليب الغير.

وأما سهو الأحفاد لا الأبناء، فلأن أبناء حسن البنا، وهم جيل التأسيس والرواد البناة من الدعاة؛ أمثال سيد قطب الشهيد، وعبد القادر عودة، وحسن الهضيبي، وعمر التلمساني، ومحمد أحمد الراشد، ومصطفى مشهور، وبهي الخولي، وأمثالهم –رحم الله من مات منهم وحفظ من بقي– فقد كانوا أوفياء للرجل وفكرته، آخذين بقوة كتاب دعوته، ومبلغين بأمانة كنه رسالته.

وإنما سها الأحفاد الذين لم يصحبوا الرجل، وقرأوا فكرته بعد أن تعرضت لكثير من عوامل التعرية والتصحير، فقدت بفعلها غير قليل من روحانيتها في زحام المتغيرات المتعاقبة، والأحداث المتراكمة. فلم تعد المأثورات إلا كتيبا مذيلا لرسائل الإمام، عفى عليه الدهر بعد أن استنفذ طاقاته النفعية في فترة التأسيس، أما والبناء قد علا وشمخ، فينبغي أن تأخذ التربية مفهوما أشمل، هو مفهوم تربية الأخلاق، وتربية الأذواق، وتربية الفكر، لا التربية بالصحبة والمجاهدة والذكر. وإذا بالقلوب تشكو فراغا كانت منه في عافية، وإذا بالألسنة والأقلام تصرخ شاكية من "أزمة روحية" أو داعية إلى "تربية روحية".

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فهل من سبيل إلى معرفة الرجل وفكرته بأمانة، وأخذ كتابها بقوة؟ وهل من دليل عليها يقف بنا على حقيقتها، لنعرف من هو حسن البنا وكيف أحسن البناء.

الرجل والفكرة في أعين المنصفين

"حسن البنا رجل غير حياة المسلمين في الشرق سريعا (**1906–1949**) لم يكتب كثيرا، لأن رصاصات الغدر لم تمهله ليتجاوز الثالثة والأربعين من عمره، ولكنه بث في حياة المسلمين الراكدة المسترخية روحا جديدة ما تزال تبعث الحيوية في مختلف جوانب الحياة الإسلامية في كل بلاد المسلمين.

"بدأ حسن البنا دعوته صغيرا وهو يتلقى علومه الأولية بمدينة المحمودية بمصر من خلال "جمعية الأخلاق الأدبية" ثم "جمعية منع المحرمات"، وانتقل بها إلى دمنهور عام **1920** حيث أتم حفظ القرآن الكريم، ثم إلى القاهرة عام **1923** في دار العلوم التي تخرج منها عام **1927** ليبدأ حياته العملية، ولتكون دعوته قد تأصلت في نفسه على أفكار محددة حملها معه إلى مدينة الإسماعيلية حين عين بها مدرسا.

"بدأ البناء دعوته في الإسماعيلية بشكل مركز، فكان يتصل بالناس في المقاهي –حيث تقضي الطبقات العاملة جزءا كبيرا من وقتها– ثم ينتقل بهم إلى المسجد كي يبني خلايا إسلامية مبرأة من الخلافات الجزئية والمذهبية التي كانت تسود مجتمعات المسلمين ذلك الوقت وتبدد طاقتهم. واستطاع أن يرسي دعائم دعوة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

إسلامية متميزة عندما تعاهد مع ستة نفر من إخوانه على تشكيل أول نواة لجماعة الإخوان المسلمين في شهر ذي القعدة 1347 هجرية آذار / مارس 1928 ميلادية.

"أقام حسن البنا بالإسماعيلية مسجدا ودارا للإخوان، ثم معهد حراء الإسلامي، ومدرسة أمهات المؤمنين، وبدأت دعوته تنشر في المدن والقرى المجاورة. كانت دعوته، من أول يوم، تتميز بالعودة إلى الأصالة الإسلامية بمصدريها: الكتاب والسنة. وكان الإمام البنا يركز على ضرورة بناء جيل مؤمن من الشباب، يفهم الإسلام فهما صحيحا، على أنه دين ودولة، عبادة وجهاد، وشريعة محكمة تنتظم حياة الناس جميعا في جوانبها كلها، التربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

"وينتقل الشاب المؤمن حسن البنا إلى القاهرة عام 1932 بعد أن أرسى دعائم دعوته في الإسماعيلية. وتنشر الدعوة من القاهرة، حيث أنشأ فيها المركز العام للإخوان المسلمين، لتشمل القطر كله، والعالم الإسلامي بعد ذلك.

"أصدر حسن البنا مجلة "الإخوان المسلمين" الأسبوعية ثم "النذير" فمجلة "الشهاب". وكان يتابع قضايا العالم الإسلامي. فقد كان رواد حركات التحرير يجدون في المركز العام للإخوان المسلمين بالقاهرة منبرا يطلعون من خلاله الشعب المصري والعالم الإسلامي على قضايا بلادهم فمن زعماء الثورات الفلسطينية المتعاقبة قبل النكبة الكبرى إلى زعماء حركات التحرير في أندونيسيا والهند والصومال وإيريتريا وسوريا واليمن وأفغانستان.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وكان الإمام البنا لا يكتفي بمجرد استقبال هؤلاء ومد يد العون لهم وتقديمهم إلى العالم الإسلامي، بل كان يتبنى قضاياهم ويسهم فيها على أنها قضايا إسلامية عامة. ومن ذلك مشاركة الإخوان المسلمين في حرب فلسطين ومؤازرتهم أول حركة تصحيحية في اليمن عام 1948، وإرسال وفود طبية إلى سوريا خلال مقاومة الاستعمار الفرنسي، وإيفاد دعاة وموجهين لمختلف أنحاء العالم الإسلامي" (حسن البنا مبادئ وأصول في مؤتمرات خاصة، ط1، ص 3-4).

"ترجم الإمام البنا المبادئ الإسلامية إلى مؤسسات اجتماعية واقتصادية وتربوية تسير تحت لواء الإسلام لتؤدي دورها في النهوض بالمجتمع. فأقام الإخوان المسلمون مكتبا للمساعدات الاجتماعية، وجمعية تعاونية لبناء المساكن، وأسسوا شركات، أهمها شركة الإخوان للصحافة وشركة الإعلانات العربية، وشركة التجارة والأشغال الهندسية. وأنشأوا العيادات والمستشفيات، وأشرفوا على تنظيمها وإدارتها، واهتموا بتربية الشباب فأقاموا له المعسكرات الصيفية، وأعدوا منه فرقا للجوالة والكشافة، ونظموا الرحلات داخل وخارج القطر المصري، وتأسست وحدات لمحو الأمية في كافة أنحاء القطر المصري، وجرى إعداد الدعاة للخطابة والمحاضرات، وتم إصدار العديد من الكتب والصحف والنشرات الإسلامية، وقامت جماعة (الأخوات المسلمات) لتؤدي المرأة المسلمة دورها في تكوين المجتمع الصالح، وأنشئت (دار التربية الإسلامية للفتاة).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

"ولقد كان لتلك المؤسسات أثرها ودورها في تنمية المجتمع في تلك الفترة. يشهد بذلك كل المنصفين الذين شاهدوا الثمار الطيبة داخل المجتمع المصري. وبعد النشاط الفعال لكتائب الإخوان المسلمين في فلسطين، وأثره البالغ في المعارك التي دارت هناك قامت الدول الغربية بالضغط على الحكومة المصرية لحل جماعة الإخوان المسلمين، لتتم تصفية القضية الفلسطينية لصالح اليهود في غيبة جماعة قوية مثل جماعة الإخوان المسلمين تتصدى لتلك المؤامرة (...) وبالفعل أعلنت الحكومة المصرية حل "الإخوان المسلمين" في أوائل ديسمبر **1948** وتبع ذلك سحب الوحدات العسكرية للجيش المصري من فلسطين، ووقف القتال نهائيا، وإيداع الإخوان المسلمين في السجون واعتقال مجاهديهم في فلسطين وإعادتهم إلى مصر في معتقل الهاكستب (...)

"ولكن حل الجماعة وحده لا يقدم الكثير للغرب وللصهيونية، ولكن القضاء على باعث هذه الجماعة ومنشئها كان –في ظن أعدائه– هو السبيل إلى تصفيتها. ولذلك اتبع معه الأسلوب الذي يحقق هذه الغاية فتركوه حرا ولم يعتقلوه، في حين اعتقلوا أفراد جماعته كبيرا وصغيرا" (صلاح شادي، الضهيدان، الوفاء للطباعة والنشر، ص **21–24**).

يقول الشهيد، رحمه الله، وهو يعيش أجواء هذه المرحلة العصيبة من تاريخ جماعة الإخوان المسلمين المفعمة بمشاعر الحسرة على عباد ما يأتيهم من شاهد بالقسط قائم لله بالحق إلا كانوا به يستهزئون وإياه يظلمون ويحاصرون:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

"ولو أخذت الأمور وضعها الصحيح، وكانت الكلمة للحق لا للقوة لحاكمناكم نحن أيها المفرطون على التفريط، ولحاسبناكم على هذا العجز أشد الحساب، ولكن دولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة، "والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون" (يوسف، 21).

"لقد أوقف هذا الحل نهضة اجتماعية كبرى، تهيأ لها شباب هذا الجيل من أبناء الوطن، وترك أعمق الآثار، وسيقول التاريخ كلمته، ويظهر المستقبل القريب آيته؛ ولن تستطيع القوة أن تمحو عقيدة أو تبدل فكرة، "كذلك يضرب الله الحق والباطل، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، كذلك يضرب الله الأمثال" (الرعد، 17) "والعاقبة للمتقين" (القصص، 83).

"وهكذا تنتهي آخر رسائل الإمام البنا "القول الفصل" بتلخيص مؤثر لما قدمه الإخوان المسلمون لوادي النيل وللدول العربية، بل للعالم أجمع، وكأنه كان يخط بهذا السرد التاريخي لنشاط حركته آخر سطور حياته النابضة بالحب والخير والوفاء لأمة الإسلام، إذ أصابته رصاصات غادرة بيد حكومة إبراهيم عبد الهادي والملك فاروق في 12 فبراير 1949، وهو يهم بركوب سيارة أجرة بعد نزوله من دار الشبان المسلمين. وطويت بذلك صفحة رجل جدد دين أمته على مدى قرن من الزمان، ولكن عاشت حركته، برغم ذلك، إلى يومنا هذا، ندية بفضل الله، مشرقة بتعاليمه" (محمد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حامد أبو النصر، مجلة لواء الإسلام، 19 مارس 1988م، ص 21).

تحديد واجتهاد واستشهاد فهل من منصف؟

جرت سنة الله في العباد أن يبتلى المؤمنون على قدر إيمانهم، وألا يعرف الفضل لهم إلا أهل الفضل، وقليل ما هم. وهم بما يقدمونه من صالح الأعمال، وما يلاقونه من أذى الظلام والحساد والجهال، يرقون بحسناتهم وحسنات غيرهم، من فعل الخير الذي دلوه عليه، ومن عمل بالسنة الحسنة التي سنوها له. ومن ارتضى ركوب صهوة نفسه الأمارة بسوء الظن، وسوء الفهم، وسوء القول، فبخسهم أشياءهم، وهضمهم حقهم في عاجل البشرى ثناء، حسدا من نفسه وحجودا. يقول أحد رجالات الإخوان المسلمين معبرا بحسرة عن هذه الفكرة:

"ورغم هذا الأثر الذي كان للإمام الشهيد حسن البنا –ولا يزال– ورغم الصفحات المضيئة من جهاد الجيل الذي رباه، والأجيال التي تعاقبت وسارت على ذات درب الجهاد الذي دل عليه، إلا أن الإمام البنا لا يزال مغموط الحق بين أبناء أمته، لم يقدر قدره، ولم ينل من الاهتمام والدراسة ما يستحقه وما هو له أهل. ومعظم ما كتب عنه كان بأقلام أعدائه وشانئيه الذين يدفعهم حقدهم الأسود عليه إلى محاولة تشويه صورته، وطمس تاريخ جماعته، هادفين من هذا قطع الطريق أمام دعوته التجديدية التي هي، كما وصفها: روح جديد يسري في قلب هذه الأمة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فيحييه بالقرآن، ونور جديد يشرق فيبدد ظلام المادة بمعرفة الله، وصوت مدو يعلو مرددا دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم" (جابر رزق، عن "الدولة والسياسة في فكر البنا"، ص 8–9).

ويؤكد أحد المصطفين المشهورين ما تعرض له الرجل، وما تعرضت له دعوته من عداء، وما قوبل به نورها من محاولات ماكرة للإخفاء والإطفاء:

"إننا نعلم جيدا أن حسن البنا قد غاظ أعداء الله وعملاءهم غيظا شديدا، فقد رأوا في دعوته وجماعته الخطر الأكبر عليهم وعلى باطلهم. ويعز علينا أن نرى بعض المسلمين، وإن كانوا قلة، ينظرون إلى حسن البنا من منظار الأعداء. ندعوهم إلى الإنصاف وألا يبخسوا الناس أشياءهم، وينظروا إلى أثر حسن البنا وجماعته على الساحة الإسلامية وما أحدثته من تغيير جذري في المفهومات والتصورات وعود الإسلام الصحيح بشموله، ومن حفز الهمم للعمل والجهاد مما أزعج الأعداء وعملاءهم، وجعلهم يخصون أفراد جماعته بكل ألوان الحرب والاضطهاد ليقضوا عليها. ولكنهم، بحمد الله، فشلوا، ولن يستطيعوا، لأنها دعوة الله ونور الله، ولن يطفئ نور الله بشر" (مصطفى مشهور، تساؤلات على الطريق، ص 106).

وانطلاقا من هذه الشهادة القوية من أحد أعلام جماعة الإخوان المسلمين البارزين، وقياداتها المتأخرين، نمضي في ثبات ويقين لنحصي شهادات المنصفين.

This file was downloaded from QuranicThought.com

الفصل الثاني: شهادات

شهادات

ما من شك في أن الشهادة هي من سمات الرسالة البارزة، وموروثات النبوة الخالدة "إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا" (الفتح، 8). والمؤمنون مأمورون بالشهادة ولو على أنفسهم. فإذا كان الدون يحسد، والمثل يغبط، فإن من هو فوق يشهد. ولهذا فالشهادة مرتبة أعلى من مرتبة العبادة والمجاهدة والمعرفة. إنها كلمة الحق والصدق والقسط، يقولها الإنسان في حق الناس، وفي حق نفسه بالأساس، عندما يريد أن يكون لسيرته ذكر يبقى وخبر يذيع وينشر، وأثر يبرعم عبر الأجيال في ضمائر الرجال، تحدثا بنعمة الله ونصيحة من مجرب خبير تختزل لك الدروس والعظات التي استقاها من مدرسة الحياة في بضع كلمات.

شهادات المنصفين

ومن يملك ينكر فضل حسن البنا وسبقه وغناءه في حسن بناء الصحوة الإسلامية على أساس متين وركن ركين من الصدق

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والتصديق، والتنظير والتطبيق، والتأطير والتحقيق. فقد كان، رحمه الله، علما من أعلام هذه الأمة، لمع نجمه في ليل أليل من ظلام الفتنة والجاهلية؛ فهدى الله به الحائرين إلى طريق الهدى والرشاد، وجند على يديه التائبين في كتائب الدعوة والجهاد، وأيد به دعوة الحق، وجدد به دين الأمة من بلى، وأعاد به غزل عرا الإسلام المنتقضة عروة عروة. سبق في علم الله أن الأجل سيوافيه قبل أن يتم عمله، ويحقق أمله. وشاءت حكمة الله وقدرته أن يقصر عمره دون رؤية ثمرة تجديده طازجة كاملة، إذ قتلته الأيدي الآثمة قبل بلوغه غاية سعيه ومأمنه، دولة إسلامية راشدة. قتلته الأيدي الآثمة، لكن دعوته تفرعت دعوات كثيرة مختلفة المسارب، استقت جميعها من هذا المشرب الواحد، وفجرته ينابيع في الأرض صافية نقية، جارية قوية، كلها يشهد بأن حسن البنا كان الرائد المجدد، والباعث المجتهد، وأن الصحوة الإسلامية مدينة له، يقظة ودعوة، وحركة ودولة بما ليس يؤدي عنها شكره إلا الله.

حسن البنا وعبقرية البناء

سيد قطب التي ضمنها أحد مقالات كتابه القيم "دراسات إسلامية" تحت عنوان: (حسن البنا وعبقرية البناء). يقول في مستهل مقالته: "في بعض الأحيان تبدو المصادفة العابرة كأنها قدر مقدور، وحكمة مدبرة في كتاب مسطور: حسن "البنا" إنها مجرد مصادفة أن يكون هذا لقبه .. ولكن من يقول: إنها مصادفة،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والحقيقة الكبرى لهذا الرجل هي البناء، وإحسان البناء، بل عبقرية البناء؟.

"لقد عرفت العقيدة الإسلامية كثيرا من الدعاة، ولكن الدعاية غير البناء، وما كل داعية يملك أن يكون بناء، وما كل بناء يوهب هذه العبقرية الضخمة في البناء. هذا البناء الضخم: "الإخوان المسلمون"، إنه مظهر هذه العبقرية الضخمة في بناء الجماعات. إنهم ليسوا مجرد مجموعة من الناس، استجاش الداعية مشاعرهم ووجداناتهم، فالتفوا حول عقيدة. إن عبقرية البناء تبدو في كل خطوة من خطوات التنظيم من الأسرة إلى الشعبة إلى المنطقة إلى المركز الإداري إلى الهيأة التأسيسية إلى مكتب الإرشاد. هذه من ناحية الشكل الخارجي –وهو أقل مظاهر هذه العبقرية– ولكن البناء الداخلي لهذه الجماعة أدق وأحكم، وأكثر دلالة على عبقرية التنظيم والبناء، البناء الروحي. هذا النظام الذي يربط أفراد الأسرة وأفراد الكتيبة وأفراد الشعبة، هذه الدراسات المشتركة، والصلوات المشتركة، والتوجيهات المشتركة، وفي النهاية هذه الاستجابات المشتركة، والمشاعر المشتركة التي تجعل نظام الجماعة عقيدة تعمل في داخل النفس قبل أن تكون تعليمات وأوامر ونظما (...)

"ويمضي حسن البنا إلى جوار ربه، يمضي وقد استكمل البناء أسسه، يمضي فيكون استشهاده على النحو الذي أريد له: عملية جديدة من عمليات البناء، عملية تعميق للإنسان، وتقوية للجدران، وما كانت ألف خطبة وخطبة، ولا ألف رسالة للفقيد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الشهيد لتلهب الدعوة في نفوس الإخوان، كما ألهبتها قطرات الدم الزكي المهراق.

"إن كلماتنا تظل عرائس من الشمع، حتى إذا متنا في سبيلها دبت فيها الروح وكتبت لها الحياة.

"(...) إنها عبقرية البناء، تمتد بعد ذهاب البناء". (سيد قطب، دراسات إسلامية، 1398هـ/1978م، ص 225-228).

لا تغني هذه الفقرات المبسترة عن قراءة المقال كله لما فيه من دروس وعبر ممتعة ومفيدة في الوقوف على حسن بناء حسن البنا.

مجدد الإسلام في القرن العشرين

شهادة أخرى ننقلها عن أحد قيادات الإخوان هو أحمد عيسى عاشور الرجل الذي سجل دروس الشهيد حسن البنا، ونقلها إلينا مختزلة حية كما تلقاها هو نقية طرية من فم من أجرى الله ينابيع حكمتها من قلبه على لسانه. فقد وقع في نهاية مقدمته التي قدم بها لكتاب "أحاديث الثلاثاء" بهذا التوقيع الرفيع: "وإذا كان الإمام الشهيد حسن البنا قد مات، فإن فكره لن يموت وتأثيره باق وممتد، يتمثل في أجيال صنعها على مائدة الإسلام بأسلوب العصر، ويتمثل في هذا المد العالمي للحركة الإسلامية التي وضع، رحمه الله، بذورها الأولى. وحسن البنا، بعد كل هذا، هو مجدد الإسلام في القرن العشرين". (حديث الثلاثاء للإمام حسن البنا، سجلها وأعدها للنشر أحمد عيسى عاشور، مكتبة القرآن، ص 6).

This file was downloaded from QuranicThought.com

دعوة ربانية الأساس والوجهة

وفي شهادة خبيرة من الدكتور يوسف القرضاوي نقرأ هذه الفقرة المعنونة بـ: "اتصالي بدعوة الإخوان وتوجيهاتها الربانية". وهي شهادة ضمنها هذا الفقيه المجتهد سلسلته الطيبة "في الطريق إلى الله"، الجزء الأول "الحياة الربانية والعلم". يقول: "وفي تلك المرحلة (يعني المرحلة الثانوية) توثق اتصالي بدعوة الإخوان المسلمين، وهي دعوة ربانية الأساس والوجهة. وقد كان مؤسسها الإمام حسن البنا رجلا ربانيا بدأ صوفي النشأة، ثم تحرر من قيود الشكلية الصوفية، مبقيا على جوهرها، وهو سمو الروح، وطهارة القلب، محاسبة النفس، وصدق الصلة بالله تبارك وتعالى، وسلامة الصدر من الأحقاد، والحب في الله، والبغض في الله. وقد تجلى ذلك في شعارات الجماعة مثل: "الله غايتنا، والرسول قدوتنا", كما تجلى ذلك في مناهج تربيتها ومظاهر نشاطها. حتى قال الشيخ البنا: "إن دعوتنا دعوة سلفية، وحقيقة صوفية، وطريقة سنية، وهيئة سياسية ... وكانت وسائل الإخوان في التربية والتوجيه توطد هذا الجانب وتعمقه، مثل الأسرة، أو الكتيبة، أو المخيم ... وتركيزها على الذكر والبساطة وتلاوة القرآن والمأثورات من الأدعية وحب الخير للناس". (الدكتور يوسف القرضاوي، سلسلة فقه السلوك في ضوء القرآن والسنة، ج1، "الحياة الربانية والعلم"، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 1، 1416هـ/1995م، ص 9).

This file was downloaded from QuranicThought.com

حسن البنا شخصية فريدة استطاعت أن تعرض الإسلام في صياغة جديدة

شهادة أخرى نستقيها من كتاب صغير الحجم عظيم الفائدة والقيمة معنون بـ"حسن البنا الرجل والفكرة". يقول محمد عبد الله السمان أحد الرجال الأوفياء الذين عاشروا الرجل وأحبوه وأخلصوا لنموذجه وفكرته في وقت عصيب، وظرف كالح كئيب، أي بعد أن قتل حسن البنا الحبيب، وأقبر ولم يشهد جنازته إلا عدد تحصيه أصابع اليد الواحدة، وحرم حتى فضيلة المشي خلف جنازته آلاف مؤلفة من أتباعه، فيهم الصديق، وفيهم التلميذ، وفيهم القريب.

قال السمان: "لقد تجلت عبقرية حسن البنا في أنه استطاع أن يعرض الإسلام في صياغة جديدة، جذابة مرنة سهلة مقنعة، أعانه على ذلك في مجال الصياغة عقلية ناضجة، وفكر ثاقب، وأفق واسع، وأعانه على ذلك أيضا، في مجال الإقناع، قدرته الفائقة على العطاء الإسلامي السخي الذي ينفذ إلى القلب والمشاعر والوجدانات قبل أن يستولي على الألباب والأذهان. يقول العلامة أبو الحسن الندوي في رسالة "أريد أن أتحدث إلى الإخوان"، وهو بصدد حديثه عن شخصية حسن البنا: "كانت شخصية فريدة، يظهر من حياة صاحبها ونشأته أنها أعدت لهذا الأمر العظيم إعدادا. كان يجمع بين الفهم الواسع للإسلام، والغيرة الملتهبة عليه، والنشاط الدائم والعمل المتواصل لإعلائه، والخطابة الساحرة، والشخصية الجذابة، والنفوذ العميق في نفوس

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أصحابه وإخوانه، وبلفظه هو نفسه" الفهم الدقيق، والإيمان العميق، والحب الوثيق..". ولابد للزعيم المسلم وقائد الدعوة الدينية أن يجمع بين هذه الصفات". (محمد عبد الله السمان، حسن البنا: الرجل والفكرة، دار الاعتصام، الطبعة الأولى 1398هـ/1978م، ص 30-31).

حسن البنا فكرة قوية هائلة

وعن الأستاذ البهي الخولي مؤلف كتاب "تذكرة الدعاة" نأخذ هذه الشهادة الصادقة: "كان حسن البنا فكرة قوية هائلة، والفكرة لا تبغي مالا، ولا تسعى لعرض زائل. لذا رأيناه يحيى بيننا حياة الضيف الخفيف، يلم الدنيا على هوادة لا يجمع منها ولا يمنع، ولا يهتم بشيء فيها إلا بمقدار، ولا يصيب منها إلا ما تدعو إليه الضرورة، يأكل ما حضر من الطعام، ويلبس ما تيسر من اللباس، ويتخذ ما قل وكفى من السكن، ويعيش عيشة الكفاف، ولا يهمه أن يترك بنيه لله ولا شيء معهم، وكل قرة عينه وبهجة نفسه أن ينادي في الناس بكلمة الله، ويعلن إليهم ما في صدره من الأسرار، وأن يرى فضائل فكرته ومثلها العليا حقائق واقعة، وصورا عملية تسعى في حياة الناس على قدمين، وتزحم بمناكبها العريضة كل ما يعترضها من باطل، وتنصر وجه الدنيا بإبائها وعفتها، فإذا بلغ من ذلك ما أراد رضيت الفكرة في نفسه وبسمت في قرارة فؤاده، بسمة لها من سنا وجه الله نعيم ونور وغبطة". (من كلمة للأستاذ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بهي الخولي، عن مقدمة "مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا"، ص **10**).

بدت وراثة النبوة ظاهرة في شمائله

وعن الأستاذ محمد الغزالي، رحمه الله، أحد علماء هذه الأمة الموسوعين ودعاتها المعتدلين ومفكريها المنورين، نأخذ هذه الشهادة الجليلة: "لقد قتل حسن البناء يوم قتل والعالم كله أتفه شيء في ناظريه. ماذا خرقت الرصاصات الأثيمة من بدن هذا الرجل، خرقة جسدا أضنته العبادة الخاشعة، وبراه طول القيام والسجود. خرقت جسدا غبرته الأسفار المتواصلة في سبيل الله، وغضنت جبينه الرحلات المتلاحقة، رحلات طالما أصغى الملايين إليه فيها وهو يسوق الجماهير بصوته الرهيب إلى الله، ويحشدهم ألوفا ألوفا في ساحة الإسلام.

"لقد عاد القرآن غضا طريا على لسانه، وبدت وراثة النبوة ظاهرة في شمائله. ووقف هذا الرجل الفذ صخرة عاتية انحسرت في سفحها أمواج المادية الطاغية، وإلى جانبه طلائع الجيل الجديد الذي أفعم قلبه حبا للإسلام، واستمساكا به. وعرفت أوربا أي خطر على بقائها في الشرق إذا بقي هذا الرجل الجليل، فأوحت إلى زبانيتها، فإذا الإمام الشهيد مدرج في دمه الزكي، وإذا بجيله الذي رباه في المعتقلات". (من كلمة للأستاذ محمد الغزالي، عن "مجموعة رسائل الإمام"، ص**11**).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كان لله بكليته

وعن نفس الكتاب ننقل شهادة أخرى لمحمد الحامد، رحمه الله تعالى: "إني أقولها كلمة حرة، ولا بأس بروايتها عني. أقول: إن المسلمين لم يروا مثل حسن البنا منذ مئات السنين، في مجموع الصفات التي تحلى بها، وخفقت أعلامها على رأسه الشريف. لا أنكر إرشاد المرشدين، وعلم العالمين، ومعرفة العارفين، وبلاغة الخطباء والكاتبين، وقيادة القائدين، وتدبير المدبرين، وحنكة السائسين. لا أنكر هذا كله عليهم من سابقين ولاحقين، لكن هذا التجميع لهذه المتفرقات من الكمالات، قلما ظفر به أحد كالإمام الشهيد.

"لقد عرفه الناس وآمنوا بصدقه، وكنت واحدا من هؤلاء العارفين به. والذي أقول فيه قولا جامعا: هو أنه كان لله بكليته: بروحه وجسده، بقالبه وقلبه، بتصرفاته وتقلبه. كان لله فكان الله له، واجتباه، وجعله من سادات الشهداء الأبرار..." (المرجع نفسه، ص **10**).

كان مثلا أعلى في كل شيء

شهادة أخرى تفتل في حبل إمامة الرجل وبعثته التجديدية على رأس القرن الرابع عشر، تلك التي ضمنها الأستاذ سعيد رمضان البوطي كتابه الخواطر إذ يقول: "... كان حسن البنا إماما بكل ما تسع الإمامة من معنى. كان مثلا أعلى في كل شيء. في علمه، في إيمانه، في إخلاصه، في نشاطه، في حدة ذكائه، في دقة ملاحظته، في قلبه الكبير وروحه الطاهرة. كان حسن البنا حجة الله في نفسي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

على أن الإسلام يصنع الرجال، ويحقق المثل العليا، ويصوغ النور المصفى من لحم ودم. كان عقلا هائلا، وروحا موصولا بالسر الأعلى، لا يفتر عن ذكر الله. كان قمة شامخة فيها العلو وفيها الثبات، وفيها قوة الجبل. كان عظيما موفقا لا يخطئ الوجهة. كان رائعا ملأ قلوبنا بحب الله، وأشعل صدورنا بحب الإسلام، وصهرنا في بوتقة طاهرة لا تشوبها شائبة.

"قتل حسن البنا في يوم أسود من أيام التاريخ، وفقدت الإنسانية بفقده (إنسانا) قل أن يجود الزمان بمثله. قتل حسن البنا بعد عشرين عاما قضاها في جهاد مرير، متصل الأيام والليالي.." (عن مقدمة كتاب "أحاديث الجمعة"، الكتاب الثالث من سلسلة "كتب قيمة"، بقلم الإمام الشهيد حسن البنا، ص **189–190**).

شهادات وشهادات، كلها تجمع على صدق الرجل وسبقه، وتوفيقه وتفوقه، وعلى أنه كان القوي الأمين، الحفيظ العليم، الحكيم الرحيم، وأنه كان حجة الله على النفوس، ووارثا لسر النبوة، وداعية إلى الله على بصيرة، وصانع رجال، وراهب ليل، وفارس نهار، ومثلا أعلى، محسنا في كل شيء، وصاحب مروءة وشخصية فذة؛ صواما قواما ذكارا مجاهدا عالما عاملا زاهدا، قائما لله بالحق وشاهدا بالقسط؛ وبكلمة جامعة كان ربانيا، يعبد بإيقان، ويعامل بإحسان، ويعمل بإتقان. وانبنت فكرة دعوته على أسس ثلاثة: العلم والتربية والجهاد. يقول، رحمه الله: "إنما يجب أن تكون دوتنا عامة قوامها العلم والتربية والجهاد، وهي أركان

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الدعوة الإسلامية الجامعة" (حسن البنا، مذكرات الدعوة والداعية، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ص 67-68). وعلى هذا ربى الحق، سبحانه، بالقرآن رسوله الأكرم، صلى الله عليه وسلم، وعلى هذا ربى الصادق الأمين صحابته، وعنهم ينبغي أن نأخذ، وبهم ينبغي أن نقتدي.

حسن البنا علم القرن الرابع عشر وإمامه

يقول الأستاذ عبد السلام ياسين في معرض حديثه عن الشيخ البنا ودعوته بعد أن أحصى عددا من المجددين المجتهدين الذين كان مشربهم صوفيا، ومسربهم جهاديا، من أمثال السنوسيين بليبيا، والمهدويين بالسودان، وغيرهم من أهل الصلاح والعرفان الذين كانوا في الليل كالرهبان، وفي النهار كالفرسان، وكانوا بحق أهل عدل وإحسان: "ولن يفوتنا شيء من جهاد الصوفية وتربيتهم وعلمهم، إذ سنجد كل ذلك في أبهى صوره عند رجل لم يدع تجديدا ولا مقاما ... وإنما نزل على هذه الأمة كما تنزل الرحمة خفيف الحاذ في تواضع الأنبياء، وروحانية الصديقين، وجهاد الصادقين. هذا الرجل هو علم هذا القرن (يعني القرن الرابع عشر الهجري) وإمامه، سيدي حسن البنا رحمه الله رحمة واسعة ورضي عنه.

"قضى البنا عشرين سنة في جهاد الدعوة ومجاهدة الفتنة، فأنار أثناء القلوب وأنار العقول، وجمع الله به مؤمنين، وربى الله به شبابا خرجوا على الناس بسمتهم وإيمانهم وصدقهم، والإسلام في غربته،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وضربوا مثالا للشجاعة في أمة متخاذلة فاشلة، وضربوا مثالا للقوة في أمة ضعيفة عنيفة، ونشدوا العدل في أرض طغى فراعنتها وامتصوا أموال الناس ودماءهم وأعراضهم. وكان الخطب عظيما على كل مسلم في الأرض لما قتل الطاغوت الفرعوني إمام الإخوان المسلمين، وحين تكالب على الجماعة من بعد ذلك الطاغوت البطولي الظالم المظلم يقتل ويشرد. وليس تمحو يد الظالمين ما سطرته العصابة المؤمنة في تاريخ هذه الأمة المعاصرة من جهاد وصدق، وسيشع لنا من تجربة الإخوان المسلمين نور يومض لنا، مشيرا أن الإسلام ممكن وأن المؤمنين هم الرجال إن عز العاملون ودعا الأمر لبناء الاقتصاد، وهم الرجال لرحمة البائس الفقير والعناية باليتيم والمحروم. فقد كانت للجماعة يد بيضاء في كل ساحة للعمل. ويرحمنا الله بفضله حتى لا يضيع الدرس من بناء الإمام وجماعته بين جهل الجاهلين وتأويل المؤولين". (الأستاذ عبد السلام ياسين، الإسلام غدا، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، **1393**هـ/**1973**م، ص **448-449**).

كان منشئ جيل، ومربي شعب، وصاحب مدرسة علمية فكرية خلقية

وهذه شهادة أخرى، شهادة مؤرخ محقق وعدل ثقة، هو الأستاذ أبو الحسن الندوي، إذ يقول في مقدمة كتاب الإمام الشهيد "مذكرات الدعوة والداعية" بعد أن سرد بإسهاب الظروف القائمة التي استقبلت ظهوره في فجر القرن العشرين في غياب وازع القرآن الذي ضعف، حتى كادت الفتنة لا تبقي منه ولا تذر بقية

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

من أثر ولا خبر، وفي حضور وازع السلطان المنكر الذي ظلم وقهر، وفسق وفجر، وأسرف وبذر، واستضعف واستحمر. يقول: "إن كل من عرف ذلك عن كثب لا عن كتب، وعاش متصلا به، عرف فضل هذه الشخصية التي قفزت إلى الوجود، وفاجأت مصر ثم العالم العربي والإسلامي كله بدعوتها وتربيتها وجهادها وقوتها الفذة التي جمع الله فيها مواهب وطاقات قد تبدو متناقضة في عين كثير من علماء النفس والأخلاق ومن المؤرخين والناقدين، هي العقل الهائل النير، والفهم المشرق الواسع، والعاطفة القوية الجياشة، والقلب المبارك الفياض، والروح المشبوبة النضرة، واللسان الذرب البليغ، والزهد والقناعة –دون عنت– في الحياة الفردية، والحرص وبعد الهمة –دونما كلل– في سبيل نشر الدعوة والمبدإ، والنفس الولوعة الطموح، والهمة السامقة الوثابة، والنظر النافذ البعيد، والإباء والغيرة على الدعوة، والتواضع في كل ما يخص النفس تواضعا يكاد يجمع على الشهادة عارفوه، حتى لكأنه –كما حدثنا كثير منهم– مثل رفيف الضياء لا ثقل ولا ظل ولا غشاوة.

"وقد تعاونت هذه الصفات والمواهب في تكوين قيادة دينية اجتماعية، لم يعرف العالم العربي وما وراءه قيادة دينية سياسية أقوى وأعمق تأثيرا وأكثر إنتاجا منها منذ قرون، وفي تكوين حركة إسلامية يندر أن تجد –في دنيا العرب خاصة– حركة أوسع نطاقا، وأعظم نشاطا، وأكبر نفوذا، وأعظم تغلغلا في أحشاء المجتمع، وأكثر استحواذا على النفوس منها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

"وقد تجلت عبقرية الداعي، مع كثرة جوانب هذه العبقرية ومجالاتها، في ناحيتين خاصتين، لا يشاركه فيها إلا القليل النادر من الدعاة والمربين والزعماء والمصلحين: أولهما شغفه بدعوته، واقتناعه بها، وتفانيه فيها وانقطاعه إليها بجميع مواهبه وطاقاته ورسائله. وذلك هو الشرط الأساسي، والسمة الرئيسية للدعاة والقادة الذين يجري الله على أيديهم الخير الكثير. والناحية الثانية تأثيره العميق في نفوس أصحابه وتلاميذه، ونجاحه المدهش في التربية والإنتاج؛ فقد كان منشئ جيل، ومربي شعب، وصاحب مدرسة علمية فكرية خلقية". (مقدمة كتاب "مذكرات الدعوة والداعية"، ص **6–8**).

باعث النهضة الإسلامية الملهم

ويذكر الشيخ محمد محمود الصواف أول عهده بالاتصال بالإخوان المسلمين، واللقاء مع حسن البنا، رحمه الله، أنه تعرف إلى رجل عبقري مجاهد صادق في جلسة طيبة، كانت جلسة الروح وجلسة الإخاء، وقد شده، هو والبعثة التي كانت معه، بكلام بعث فيهم روح الحماس وروح الجد والأمل. يقول في سجل ذكرياته:

"كان حديثه، رحمه الله، حديث القلب إلى القلب، وهكذا كان أسلوبه دائما في محاضراته وخطبه. إنه لم يكن من الخطباء الجماهريين، ولكنه كان محدثا مقنعا. وكان كتاب الله وكأنه بين عينيه، يستشهد بالآيات القرآنية في كل مناسبة، وعندما تسمع

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الآية القرآنية من فمه الطاهر كأنك لم تسمعها من غيره. وهذا ما يدل على إخلاصه. وهو في الواقع مجدد هذا القرن (يعن القرن الرابع عشر الهجري)، وباعث النهضة الإسلامية الملهم." (محمد محمود الصواف، من سجل ذكرياتي، دار المعرفة، ص **92**).

وهل يحتاج النهار إلى دليل؟!

ولعل قارئنا يسأل: لماذا كل هذه الشهادات والرجل نار على علم، وقد شرق صيته وغرب، وعم خيره العالم كله، ومات بعد شهيدا. نقول: إن حسن البنا غني عن التعريف، وعن المدح والثناء، نعم، لولا أن الناس، بعد طول الأمد، قد قست قلوبهم عن ذكره، وبذكره وذكر أمثاله تتنزل الرحمات، وعن شكره –ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله– وعن حسن عبادة الله مثلما عبد الله حسن البنا بإحسان كأنه يراه، تربية وعلما وجهادا، فتفرق لديهم ما اجتمع عنده، وانزلقوا في إحدى المنزلقات الثلاثة: "إسلام الزهادة والهروب من المجتمع، والإسلام الفكري، والحركية على حساب التقوى والعلم..." (الأستاذ عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي، ط**2**، **1410**هـ/**1989**م، ص **51**).

يقول الإمام الشهيد في رسائله: "تعمل التربية الإخوانية على إنشاء جيل يحقق معنى "رهبان في الله فرسان في النهار"" (حسن البنا، الرسائل، ط الأولى، ص **40**–**41**). ويضيف قائلا: "لهذا ترى الأخ المسلم في المحراب خاشعا متبتلا يبكي ويتذلل. وبعد ذلك يكون هو بعينه واعظا مدرسا يقرع الآذان بزواجر الوعظ،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وبعد قليل تراه نفسه رياضيا أنيقا يرمي الكرة، أو يدرب على العدو، أو يمارس السباحة، وبعد فترة يكون هو بعينه في متجره أو معمله يزاول صناعته في أمانة وفي إخلاص." (الرسائل، ص 157).

ثم إنني أرى الحديث عن الجانب المهمش المنسي من فكر الرجل واللامفكر فيه واللامتحدث عنه إلا بحرج وغموض والتواء وتبرير وتأويل متعسف، مساهمة من محب في رفع حصار وهمي ضرب على حسن البنا في قبره، وألزمه إقامة إجبارية صادرت لب دعوته إلى الإحسان والروحانية التي تلقاها نقية طرية عن الطريقة الحصافية، وأضاف إليها من سعة صدره وصبره، وفكره، وهمه، وفهمه وعزمه، ما جعله مؤهلا، أكثر من غيره، ليندرج في سلك المجددين، ويعد في زمرة المجاهدين الفائزين الذين قال عن نموذجهم: "أستطيع أن أتصور المجاهد شخصا قد أعد عدته وأخذ أهبته، وملك عليه الفكر فيما هو فيه نواحي نفسه وجوانب قلبه، فهو دائم التفكير، عظيم الاهتمام، على قدم الاستعداد أبدا، إن دعي أجاب، أو نودي لبى، غدوه ورواحه، وحديثه وكلامه وجده ولعبه، لا يتعدى الميدان الذي أعد نفسه له، ولا يتناول سوى المهمة التي وقف عليها حياته وإرادته، يجاهد في سبيلها، تقرأ في قسمات وجهه وترى في بريق عينيه، وتسمع من فلتات لسانه ما يدلك على ما يضطرم في قلبه من جوى لاصق وألم دفين، وما تفيض به نفسه من عزمة صادقة وهمة عالية وغاية بعيدة". ثم يقول: "أما المجاهد الذي ينام ملء جفنيه، ويأكل ملء

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ماضغيه، ويضحك ملء شدقيه، ويقضي وقته لاهيا لاعبا عابثا ماجنا، فهيهات أن يكون من الفائزين أو يكتب في عداد المجاهدين" (عن تذكرة النقيب أحد المنشورات الداخلية لجماعة الإخوان المسلمين مذيل بتهميش موقع بـ: في الدعوة، ص **60**).

إنها شهادات متنوعة لعديد من العلماء والدعاة والمفكرين العظماء، منهم من مات، رحمه الله، ومنهم من لا يزال حيا، أطال الله في عمره. منهم من هو داخل جماعة الإخوان المسلمين، ومنهم من هو خارجها. منهم من هو من رحم البيئة المصرية، مولدا ومنبتا ومنشأ، ومنهم من هو من أقطار عربية وإسلامية أخرى.

وبعد، ماذا عساي أقول، وقد عثرت على قولة لمحمد عبد الله السمان تكفيني مؤنة البحث عن كلام أفطم به نفسي ونفس القارئ عن شهوة الرغبة في المزيد من الشهادات، وفضول الاستكثار من جوامع كلمها التي تؤدي كل طرقه إلى غاية واحدة مختزلة في كلمة واحدة هي أن الرجل كان مبعوثا على رأس مائة سنة، وأن فكرته كانت تجديدا لدين الأمة خلال القرن الرابع عشر الهجري. فلأترك للكلمة مسك الختام بين يدي مذكرات الشهيد.

وشهد شاهد من غير المسلمين

يقول الأستاذ محمد عبد الله السمان في كتابه القيم "حسن البنا الرجل والفكرة":

"وبعد...

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فلعل أحدا يظن أننا نكتب عن الرجل من خلال عواطفنا. والحق أننا لا نكتب إلا ونحن مجردون من هذه العواطف. إن الرجل في ذمة التاريخ وليس في حاجة إلى إطرائه فضلا عن الغلو فيه، ثم إن ما عمله في حياته القصيرة يشهد له، مما يغنيه عن الإطراء والغلو، بل يغنيه عن العواطف. وأمامنا رجل ليس مسلما وليس عربيا وليس مصريا، إنه الكاتب الأمريكي "روبير جاكسون". يقول في كتابه "حسن البنا ... الرجل القرآني": "لفت نظري إلى هذا الرجل سمته البسيط، ومظهره العادي، وثقته التي لا حد لها بنفسه، وإيمانه العجيب بفكرته. كنت أتوقع أن يجيء اليوم الذي يسيطر فيه هذا الرجل على الزعامة الشعبية، لا في مصر وحدها، بل في الشرق كله. وسافرت من مصر بعد أن حصلت على تقارير وافية ضافية عن الرجل وتاريخه وأهدافه وحياته. وقد قرأتها جميعا، وأخذت أقارن بينه وبين جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد أحمد المهدي، والسيد السنوسي، ومحمد عبد الوهاب. فوصل بي البحث إلى أن الرجل قد أفاد من تجارب هؤلاء جميعا، وأخذ خير ما عندهم، وأمكنه أن يتفادى ما وقعوا فيه من أخطاء. ومن أمثلة ذلك أنه جمع بين وسيلتين متعارضتين، جرى على إحداهما الأفغاني، وارتضى الأخرى محمد عبده.

"كان الأفغاني يرى الإصلاح عن طريق الحكم ويراه محمد عبده عن طريق التربية. وقد استطاع حسن البنا أن يدمج الوسيلتين معا، وأن يأخذ بهما جميعا. كما أنه وصل إلى ما لم يصلا إليه، وهو جمع صفوة من المثقفين من الطبقات والثقافات المختلفة إلى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مذهب موحد وهدف محدد" (حسن البنا: الرجل والفكرة، ص 36-37).

أعتذر، لأن بين يدي عشرات من الشهادات المنصفة التي تنزل الرجل منزله في القمة، وتضع فكرته موضعها من الحكمة، وتثني عليه ثناء يبلغ به الذروة العليا من العلم والفهم والهمة. وأكتفي بهذا القدر الزهيد السديد، إذ المهم أن نقرأ مذكرات الشهيد ومنها نستفيد. وهنا نفضي لأصدق شهادة وأجمعها وأقواها في ميزان المقارنة والمفاضلة، لأنها شهادة بالقسط على النفس من عند شاهد على الناس، وشهيد مات في سبيل ولي النفس ومولاها، ورب الناس ملك الناس إله الناس.

شهادة من شهيد! ولكن، بأي عقل وأية إرادة نقرأ شهادات الرجال؟

هذا أنا، فمن أنت؟

سأل صحفي الإمام الشهيد عن نفسه، وطلب إليه أن يعرف شخصيته للناس. قال، رحمه الله: "أنا سائح يطلب الحقيقة، وإنسان يبحث عن مدلول الإنسانية بين الناس، ومواطن ينشد لوطنه الكرامة والحرية والاستقرار، والحياة الطيبة في ظل الإسلام الحنيف. أنا متجرد أدرك سر وجوده، فنادى: إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين.

ثم قال: "هذا أنا، فمن أنت؟" (أحاديث الجمعة، ص 191).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ونحن نردد مع حسن البنا: هذا حسن البنا كما وصفه المنصفون، وهذا حسن البنا كما وصف نفسه بنفسه، وهذا حسن البنا كما أفصح عن هويته في مذكراته التي سنعرض عليك، أخي القارئ، صفحات منها مشرقة، منهضة إلى الله، ودالة عليه سبحانه، تبشيرا وتأييدا، وتوفيقا وتسديدا، وبعثة وتجديدا.

فمن أنا؟ ومن أنت؟ من أي القراء أنا وأنت؟!

من أي القراء أنا وأنت؟

القراءة، أيها الأخ الحبيب، علم من العلوم، فضلا عن كونها ضرورة من الضروريات الحياتية الدينية والدنيوية الأساسية التي لا يستغني عنها إلا أحمق، ومن حرمها فقد حرم خيرا كثيرا –أستغفر الله– "وما كان عطاء ربك محظورا" (الإسراء، 17). إنها علم هو مفتاح للعلوم، وأدب هو مفتاح للآداب، وفن هو صقل للمواهب. فينبغي أن نتعلم كيف نقرأ قبل أن نقرأ وأثناء القراءة حتى نستفيد، وحتى نستزيد من العلم الذي علم الله به الإنسان ما لم يعلم عن طريق القلم: "اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم" (العلق، 3–5). ولحكمة جليلة ورد الاستغناء والطغيان بعد القراءة والعلم "كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى" (العلق، 6–7)، وحكمة أخرى "إن إلى ربك الرجعى" (العلق، 8). فإلى الله الاحتكام، نرد إليه ما اختلفنا فيه، فالله يحكم بيننا في ما كنا فيه نختلف، سبحانه، لا يظلم أحدا،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حاشا لله سبحانه، هو أعلم بمن اتقى، لا معقب لحكمه "ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير" (الملك، 14).

والقراءة بعد هذا كله صبر للنفس المالة الكالة، وحسن اختيار للمقروء، وسلامة نية وطوية تجعلك المتجرد المستفيد بعقلية نقدية، لا بذهنية رعوية، وعقلية نافذة لا تبسيطية ذرية مسطحة، وعقلية يقظة لا مخدرة بالجاهز المسبق المبيت من الأحكام والأوهام وسيء الظنون والأسقام، وعقلية علمية نزيهة ومتفتحة، لا عقلية حزبية عصبية مغلقة، أو انعكاسية مرآوية مقلدة، أو فتوغرافية انتقائية ملتقطة، أو حاسدة حاقدة جاحدة، أو ظالمة عدائية مسعورة، أو مستخدمة مستعملة مأجورة ومأزورة، أو متعالمة متعالية مغرورة.

من أي القراء نحن، أنا وأنت، حتى نقرأ فنذكر ونعتبر، ونطعم فننتشر ليتعدانا خير المقروء إلى غيرنا؛ فنكون دالين على الخير، والدال على الخير كفاعله؟

1) هل نحن من صنف المستحيي الذي تدعوه إلى قراءة سير الرجال فلا تجد له عزما؛ غارق هو في شهواته، سادر في غفلاته، يستكثر على ربه أن ينهضه من كبوته ليعانق بكلتا يدي همته فضل الله، وواسع رحمته، فنقول: هذا مغلوب مقهور بشقوته، مثله يحتاج إلى من يذكره بأن الله يغفر الذنوب جميعا، وأنه يفرح بتوبة عبده، ويجازي عن الشبر ذراعا، وعن الذراع باعا، وعن المشي هرولة، وعن القطرة بحرا، وعن القليل كثيرا، وعن الحصاة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

جبلا. فلا قنوط من رحمة الله، ولا يأس من مغفرة الله. ولن يدخل أحد الجنة بعمله.

2) أم نحن من صنف المستغني المستعلي الأناني الطاغي، المستقيل من هم تغيير ما بنفسه، المتمادي في غي حسه ورجسه، يذهب طيباته في حياته الدنيا، وينسى الله فينسيه نفسه. الممتلئ مما هو فيه من الزبد الذي يذهب جفاء، ومن التكاثر والتفاخر الغثاء، ومن أكداس الرواية مع قلة الفهم وانتكاس الإرادة. وهو العاجز، يتبع نفسه هواها ويتمنى على الله الأماني المعسولة، بإرادة بالادعاء مفتولة، وعن الإتيان بالبينة مشلولة، وعلى البخل على الله بالنفس والمال مجبولة، وعن الخير المتعدي بالغل مغلولة، وكنز عمره نافذ، وسجل حياته من الإيمان والإحسان بلقع؟ نقول له ولأمثاله هامسين: فاقد الشيء لا يعطيه، واسأل بالرحمن خبيرا إن عز أن تفهم، وانظر من تخالل فالمرء على دين خليله، وعلى قدر الصاحب محبة وصدقا، والمصحوب حظا وعناء وسبقا، تظهر ثمرة الصحبة. واستهد صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. فهم الصادقون، فكن معهم ينهضك حالهم إلى الله، ويدلك مقالهم على الله. هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم، إذ يبتاع منهم مسك الإخلاص ليطيب به ثوبه من الأدران والأدناس، وإلا:

دع المكارم ولا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فقد تقرعك قبل القارعة قارعة، وتقع لك قبل الواقعة واقعة، وتزلزلك قبل الزلزلة زلزلة، فتستيقظ من سباتك وقد فاتك ليل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

القائمين، ومناجاة المتبتلين، ودمع الخائفين، وسؤال الراجين، وشوق المحبين، واستغفار المذنبين، وسحور الصائمين، ودعاء الصالحين، وصبح المستجيبين، وقرآن فجر الشاهدين، وتسبيح الذاكرين، وضحى الأوابين، فتقول: "يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين، أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين، أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين" (الزمر، 56).

3) أم نحن من صنف المعتدين المستعدين؟

وقد تكون وأكون –عافاني الله وإياك– من صنف المعتدين المستعدين، فترمي شهادة الرجل بما لا يليق، وتحملها من سوء الفهم ما لا تطيق، ويعمي الحقد والحسد نفسك عن سماع نداء الفطرة، والاستجابة لداعي الهجرة والنصرة، ويشاغب عليك طنين ذباب النمام والكذاب والمغتاب؛ فتنهض من مأدبة الأحباب خاوي الوفاض والجراب إلا من طعن ولعن وتكفير وسباب، أو تقرأ شهادات الرجال، وعلى القلب القفل لا يزال، وعلى العين غشاوة الجهال، وفي النفس خديعة المحتال، فيعكس المقروء جاهز حكمك، وسابق وهمك، ومبيت ظلمك.

نقول لهذا القارئ المعتدي والوكيل المستعدي: ما كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم كذلك، بل كان كما أجاب سيدنا علي كرم الله وجهه، عندما سأله سيدنا الحسين، رضي الله عنه، عن سيرته، صلى الله عليه وسلم، في جلسائه: "كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، دائم البشر سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

غليظ، ولا صخاب ولا فحاش، ولا عياب ولا مزاح (...) قد ترك نفسه من ثلاث: المراء والإكثار وما لا يعنيه. وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحدا ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه..." (حديث أخرجه يعقوب بن سفيان والترمذي والحاكم والطبراني وابن عساكر).

4) فأي قارئ نقصد؟ وأي قارئ نريد؟

وحتى لا نقع فيما حذرنا منه ونبهنا عليه، وأشرنا إليه، نستثني من صنوف القراء صنفين رابعا وخامسا. فأما الرابع، فهو القارئ الذي نعنيه بهذه الشهادات وما فيها من دروس وعبر. وأما الخامس، فهو القارئ الذي نريد والذي نخصه بما فيها من درر وغرر. وإنما نقصد بهذه الشهادات القارئ الضحية، ذاك الذي عنده قابلية للتربية تقويما وتنمية، كما عنده استعداد فطري لالتماس الحق ونشدان الحقيقة ومعرفة الصواب ليسلك طريقه. القارئ الذي حيل بينه وبين أن يقرأ أو يسمع شهادات الرجال ماضيا وحاضرا، أولئك الذين تعلموا العلم وعملوا به، ثم علموه الناس، وبعد ذلك تبينوا أن بناءهم كان على غير أساس، وأن عليهم أن يراجعوا نياتهم، ويطهروا سرائرهم، ليزيل الله الغشاوة عن بصائرهم فيروا الحق حقا عسى يرزقون اتباعه، ويروا الباطل باطلا عسى يرزقون اجتنابه. أو أولئك الذين ألقى عليهم الله محبة منه، وصنعهم على عينه دعاة إليه بإذنه، مثل الأستاذ الإمام حسن البنا، رحمه الله، أو هكذا نحسب ولا نزكي على الله أحدا؛ من نشأوا في عبادة الله، وترعرعوا ونموا في حفظ الله وعناية الله،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فكانوا المبعوثين المجددين، وكانوا المحسنين البانين، بل كانوا أس كل بناء على استقامة واستواء، ولا يتداعى فينهار أمام عقبات النفوس والأهواء، أو تحديات الواقع والأنواء، أو كيد الحساد وظلم الأعداء.

وأما القارئ الذي نريد، فندع الحديث عنه إلى حين نعرض شهادة الشهادات بدروسها وعبرها القيمة على قارئنا الضحية، عله يتبين أن حسن البنا الذي سمع عنه وقرأ عنه ما يفطم عن الرغبة في معرفة شخصيته والاطلاع على فكرته، والوقوف على أهداف دعوته وتاريخ جماعته. أو من قرأ له بنظارات الحساد السوداء، أو لم يقرأ له إلا صفحات متناثرة أو رسائل معدودة في غياب رصد شمولي وأمين لمتعدد الجوانب المساعدة على معرفة الرجل، والإحاطة بفكرته مشربا ومسربا، وأهدافا ووسائل، وغاية ومقصدا.

حسن البنا، هذا الذي يكاد يقع الإجماع على بعثته التجديدية على رأس القرن الرابع عشر الهجري، وعلى أنه أبو الصحوة الإسلامية، وجد الحركة الإسلامية الحديثة، هو من شهد له المنصفون بما قرأت، وهو أيضا من يحكي عن نفسه في مذكراته المشهورة "مذكرات الدعوة والداعية" هذه الشهادات الصادقة.

شهادات الشهيد

صفحات من "المذكرات" نعرضها عليك أخي القارئ الباحث عن الحق والحقيقة، والملتمس سبيل من أناب إلى الله ليخالله ويسلك

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

طريقه، أخذناها عن صاحبها المذكر بها أمانة، وقدمنا لها بعناوين مضيئة مبينة لمضمون المنتقى ومرمى المستقى، تشهد كلها بأن الرجل، رحمه الله، ونفعنا برسائله وأصوله ومذكراته ومأثوراته، كان داعية ربانيا ووارثا نبويا. شهادة شهد له بها أقرب الناس إليه في لحظة صدق هي لحظة تأبينه بعد استشهاده، وبنبرات صدق لا يملك سامعها إلا أن تدمع عين رأسه رحمة، وتجحظ عين قلبه إعجابا يزول بعد ظهور السبب. وهل من سبب يبطل معه العجب من حياة الأولياء الصالحين والعلماء الوارثين، والمجاهدين المستشهدين وموتهم، إلا أن نقف على حقيقة أن الله خلقهم لعبادته، وأحياهم على طاعته وأماتهم على شوقهم للقائه ومحبته للقائهم، بعد أن هداهم واجتباهم. سبقت لهم منه الحسنى، فأحسنوا فكانت لهم الحسنى وزيادة.

يحكي أبو حسن البنا الأستاذ أحمد عبد الرحمن البنا بعد موت ولده عن إحدى الإشارات الإلهية المعبرة في الشهور الأولى من ولادته فيقول: "تتمثل لي يا ولدي الحبيب، وأنت رضيع لم تتجاوز الستة شهور، وقد استغرقت مع والدتك في نوم عميق، وأعود بعد منتصف الليل من مكتبي إلى المنزل، فأرى ما يروع القلب، ويهز جوانب الفؤاد، أفعى مروعة وقد التفت على نفسها وجثمت بجوارك ورأسها ممدود إلى جانب رأسك، وليس بينها وبينك مسافة يمكن أن تقاس. وينخلع قلبي هلعا فأفزع إلى ربي وأستغيث به فيثبت قلبي، ويذهب عني الفزع، وينطق لساني بعبارات واردة في الرقية من مس الحياة وأذاها. وما أفرغ من

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تلاوتها حتى تنكمش الحية على نفسها، وتعود إلى جحرها، وينجيك الله يا ولدي من شرها لإرادة سابقة في علمه، وأمر هو فيك بالغه". (الإمام الشهيد حسن البنا، كتاب ألف بعد استشهاده بعامين بأقلام أدباء وكتاب سياسيين كبار، ص 2).

هذه صورة من صور العناية الربانية لمن أراد الله له وبه خيرا، وصور أخرى يحكيها عنه أخوه الأستاذ عبد الرحمن البنا إذ يقول بعد سنتين فقط من وفاته:

"وكانت مكتبة الوالد الكريم تفيض بالكتب وتمتلئ بالمجلدات. وكنا ندور عليها بأعيننا الصغيرة، فتلتمع أسماؤها بالذهب، فنقرأ "النيسابوري" و"القسطلاني" و"نيل الأوطار". وكان يبيحها لنا، ويشجعنا على اقتحامها. فكنت أنت المجلى في الحلبة، وكنت فارس الميدان، وكنت أحاول اللحاق بك، ولكنك كنت غير عادي، وما كان الفرق فرق السنتين، ولكن فرق إرادة إلهية أعدتك لأمر عظيم، فكنت طالب علم، ولكنك كنت مستقر موهبة إلهية، ومستودع منحة ربانية، وشتان بين المنزلتين، وفرق بعيد بين المريد والمراد. ثم يقول: "وبعد صلاة العشاء يجلس أخي إلى الذاكرين من جماعة الإخوان الحصافية، وقد أِرق قلبه بنور الله، فأجلس إلى جواره نذكر الله مع الذاكرين وقد خلا المسجد إلا من أهل الذكر، وخبا الضوء إلا ذبالة من سراج، وسكن الليل إلا همسات من دعاء أو ومضات من ضياء، وشمل المكان نور سماوي، ولفه جلال رباني، وذابت الأجسام وهامت الأرواح

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وتلاشى كل شيء في الوجود وانمحى، وانساب صوت المنشد في حلاوة وتطريب:

الله قل وذر الوجود وما حوى إن كنت مرتادا بلوغ كمال
فالكل دون الله إن حققته عدم على التفصيل والإجمال

"واستغرق أخي في هذا الجو الصافي، ونهل من هذا المنهل العذب، وكان شيخ الطريقة عالما فاضلا، وكان الذكر صحيحا لا لحن فيه ولا تحريف، فكانت هذه المرحلة من حياة أخي، عليه رضوان الله، مرحلة جلوة نفسية، وإفاضة ربانية، شفت بها نفسه، وأرهف بها حسه، وامتلأ بنور الله قلبه، فظهرت على يده الكرامة، وأصبح يرجى للدعاء والبركة.

"ولم لا يهذب الطريق الفاضل النفس، ويرهف الذكر الصحيح الحس، ويكمل جوانب الخلق، ويكون مقومات الرجولة. وما أحلاها من أنغام كنا نترنم بها، وما أعذبها من قصائد كنا ننشدها:

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا هم السلاطين والسادات والأمرا
فاصحبهم وتأدب في مجالسهم وخل حظك مهما قدموك ورا
ولازم الصمت إلا إن نطقت فقل لا علم عندي وكن بالجهل مستترا
ولا تر العيب إلا فيك معتقدا عيبا بدا بيننا لكنه استترا
وراقب الشيخ في أحواله فعسى يرى عليك من استحسانه أثرا

"لو أقدم حسن البنا على دعوته سابقا هذه الخطوات، مخالفا هذا الناموس، متقدما تلك المراحل، مرتجلا في خطى السير، لما أدرك ما أدرك، ولما كان من شأنه ما كان.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

"ولكنه كان يهيأ لكل شيء، ويعد لكل ظرف، ويصنع على عين ربانية، وتحيطه هالة محمدية ... (الإمام الشهيد حسن البنا، ص 13).

"المسلمون في حاجة إلى تتبع سيرة الرسول، صلى الله عليه وسلم، وتقصي أخباره وآثاره، ولابد لهم من القدوة العملية يتبعون سيرتها، ويأخذون عنها، وكنت أنت القدوة العملية، تحقق سيرته في نفسك وتشيع أضواءها على من حولك، وكنت المعين الذي يفيض خلقه، وينشر هديه في العالمين ..." (المصدر السابق، ص 15).

ما أجمل هذا الكلام وما أبينه عما نريد وضع الأصبع عليه، والإشارة إليه! تبع سيرة المتبوع الأعظم، صلى الله عليه وسلم، وتقصي أخباره وآثاره، وتلك إشارة إلى "المنهاج النبوي" واضحة، وقدوة عملية واتباع فأخذ، وتلك لعمري إشارات إلى الصحبة صريحة. الصحبة التي تشع، والصحبة المعين الذي يفيض، والصحبة التي تنشر الهدي في العالمين تجديدا لأمر الدين، وللإيمان في قلوب المسلمين، بعد أن أصابه من درن الفتنة، ودنس الكراهية، ورجس الجاهلية صدأ، وعاد الإسلام غريبا كما بدأ.

ثم اقرأ معي، وأعد قراءة كلمات عبد الرحمان البنا، من أول سطر، كلمات من قبيل "غير عادي"، و"إرادة إلهية أعدتك لأمر عظيم"، و"كنت مستقر موهبة إلهية، ومستودع منحة ربانية"، و"فرق بعيد بين المريد والمراد"، و"نذكر الله مع الذاكرين"، و"الجو

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الصافي"، و"المنهل العذب" و"كان شيخ الطريقة عالما فاضلا، وكان الذكر صحيحا لا لحن فيه ولا تحريف".

اقرأ معي أخي هذا، وما بعده من كلمات الرجل الصادقة المتدفقة من قلب مكلوم عزاءه في الذكرى النافعة بين يدي الواقعة الفاجعة، وفي تلك الأجواء الجنائزية الخاشعة. اقرأ معي لنعلم جميعا أن لابد من صحبة ربانية تنهض بنا لذكر الله، وترفعنا لطلب وجه الله بهمة ماضية عازمة، لا بعقلية منتظرة متمنية مستسلمة، وبإرادة قوية مقتحمة، لا بذهنية رعوية مسترخية منهزمة. في حضن هذه الصحبة نذوق دفء الرحمة ونرضع ألبان الحكمة، ونفطم عن رعونات النفس، وجوامح الطبع، وخروم المروءة. ثم نحبو بشبر الفهم إلى بلوغ اليافعين، وبذراع الهم إلى نضوج العاقلين الواعين، وبباع العزم إلى رشد الرجال الخاشعين، وبهرولة العلم والمعرفة إلى شهادة القائمين، المرشدين الداعين.

الصحبة الصحبة

إنها الصحبة يا أخي، وإنها ثمرة الصحبة، في ظلها تشف النفوس، ويرهف الحس، وتمتلئ بنور الله القلوب، فيسير العبد على بينة من أمره سويا على صراط مستقيم. "فإنه لا يهذب النفس، ولا يرهف الحس، ولا يكمل جوانب الخلق، ويكون مقومات الرجولة" إلا صحبة رفيق رفيق، هو الدليل على الطريق والنبراس المضيء، يعلمنا بمثال قوله وعمله، وسلوكه وحاله كيف نصحح النية ونصلح العمل، وكيف نتقرب بالفرض والنفل إلى الله عز وجل،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

دون أن نسوف أو نطيل الأمل، ودون أن نكسل أو نركب العجل. نذكر الله في صحبته ومع الصادقين، ونصدق في طلب وجه الله باذلين المال والنفس لا نبخل ولا نجبن، ولا نهون ولا نستكين، ونتعلم العلم النافع ونعمل العمل الصالح مخلصين متقنين، ونحسن سمتنا مستبشرين ومبشرين، ونتئد حلماء صابرين، ونقتصد متقللين لا مبذرين ولا مقترين، ونجاهد في الله حق جهاده شاهدين ومستشهدين.

"ولو أقدم حسن البنا على دعوته سابقا هذه الخطوات، مخالفا هذا الناموس، متقدما تلك المراحل، مرتجلا في خطى السير، لما أدرك ما أدرك، ولما كان من شأنه ما كان".

إنها الصحبة يا أخي، وإنها ثمرتها، وإلا فهات برهان صدقك في غيابها صفات قرآنية هي من علامات القوم الذين يحبهم الله ويحبونه، "أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم" (المائدة، 54). فإن فاتك هذا الفضل من الله الذي آتاه عباده الموفقين، أمثال حسن البنا وكل البنائين المحسنين، ومن سار على دربهم بقوة وأمانة ومحبة ويقين، فلا تركن إلى عقلك، ولا تعتمد على رأيك، ولا تستغن بعلمك وفهمك، وهذب نفسك بصحبة من هو أعلم منك.

من أصول الشيخ البنا رحمه الله: "ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قربة إلى الله تبارك وتعالى. والأولياء هو المذكورون في قوله تعالى "الذين آمنوا وكانوا يتقون" (يونس، 64). والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية، مع

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

اعتقاد أنهم، رضوان الله عليهم، لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا في حياتهم أو بعد مماتهم، فضلا أن يهبوا شيئا من ذلك لغيرهم" (محمد عبد الحكيم خيال، شرح وتحليل الأصول العشرين للإمام الشهيد حسن البنا، دار الدعوة، ص 39).

وتعليقا على هذا الكلام، واستثمارا له، واسترشادا بالمجرب الخبير الذي يقدر كلام الرجال قدره، وينزله منزله، نورد فقرات من "المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا" علها تعطي هذا الأصل من أصول البنا أبعاده المكنونة خلف كلماته النيرة.

يقول الأستاذ عبد السلام ياسين في معرض حديثه عن الصحبة والمصحوب: "المحبة والاحترام والثناء في حدود الشريعة هو ما يليق بالصالحين من هذه الأمة أحياء وأمواتا، وإنما نبه الشيخ البنا رحمه الله على بشريتهم وعجزهم عن النفع والضر لإلفات النظر كيلا يبقى في ذهن المؤمنين من هذه الخرافات التي تعيث فسادا في أوساط العامة من تقديس الرجل الصالح أو مجرد من تظهر عليه الخوارق وهو ليس من الله في شيء، ولكي يحذر من بدع عبادة القبور وتأليه البشر.

"بعد هذا نقول: إن المحبة والاحترام والثناء على الصالحين من هذه الأمة قربة إلى الله لقول الله، عز وجل، معلما إيانا الأدب مع أحبائه، وملقنا إيانا صيغة الدعاء لهم، وموجب هذا الدعاء، وهو أنهم سبقونا بالإيمان، وعلمونا الإيمان: "ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا. ربنا إنك رؤوف رحيم" (الحشر، 10). لكن احترام الأولياء من بعيد،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ومحبتهم بلا صحبة، والثناء عليهم دون أن يكون الثناء حافزا لنا على اللحاق بهم، أعمال لا تثمر إيمانا وإن أثمرت ثوابا. ومن الناس من يحترم الأموات، ويحب الأموات، ويثني عليهم وحدهم، معتقدا أنه لا ولي لله من معاصريه، هؤلاء يحرمون ثمرة صحبة الصالحين.

"وإنما ينفع الله، عز وجل، المؤمن الصادق الجاد في الإقبال على ربه أول ما ينفعه بصحبة رجل صالح، ولي مرشد، يقيضه له، ويقذف في قلبه حبه، ومتى كان المصحوب وليا لله حقا والصاحب صادقا في طلبه وجه الله ظهرت ثمرة الصحبة. قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في ما رواه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح وقال فيه الترمذي حديث حسن: "الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل". والآيات والأحاديث المشيرة إلى الصحبة والحاثة عليها كثيرة، وكل تاريخ الإيمان يشهد بأن قلب الداعي إلى الله على بصيرة، نبيا كان أو وليا، هو النبع الروحي الذي اغترفت منه أجيال الصالحين بالصحبة، والملازمة، والمحبة، والتلمذة، والمخالطة.

"وعلى قدر المصحوب إيمانا وإحسانا وولاية ينتفع الصاحب.

"ومن المؤمنين من يرفع الله همته لطلب معرفة ربه والوصول إليه مع الذين أنعم الله عليهم، فمن كتب الله، سبحانه، له سابقة خير يسره لصحبة دليل رفيق، ولي مرشد" (المنهاج النبوي، ص 123–124).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وفي مذكرات البنا، رحمه الله، سنقف على هذه الحقيقة جلية واضحة. حقيقة الصحبة محبة واحتراما وثناء من حسن البنا لشيخه الحصافي، سواء عندما أخذ عليه العهد، أو عندما فارقه مضطرا وحافظ على العهد والود.

ولو أن حسن البنا، رحمه الله، وجد في شيخه الحصافي مثله الأعلى، وقدوته المثلى لما خالفه أو فارقه، لكن صحبة الشيخ الحصافي لم تمثل للشهيد إلا مرحلة "خضرية"، ثم كان الفراق بينه وبين شيخه الحصافي بعد أن تعلم مما علمه الله إياه رشدا، ليمضي معلما مزودا، وموفقا مؤيدا إلى الاتباع الكامل لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، على محجة الدعوة الجامعة اللاحبة، تربية وعلما وجهادا. من هنا كان سكوت الشهيد عن ضرورة صحبة الأولياء واتباعهم، لئلا يتوهم أتباعه أن صحبة الصالحين –مطلق الصالحين– مطلوبة، فينصرفوا إليها منزوين في الزوايا والتكايا، منعزلين عن الناس، مستلذين الذكر والسماع والمجالسة والمذاكرة في الأحوال، والمقامات، والكرامات، على موائد القعود الدسمة. ولأن في صحبة حسن البنا، رحمه الله، المربي العالم المجاهد، ما يغني عن الالتفات إلى صحبات لا تفضي لجماعة، وإلى تقوى لا تتفتح على جهاد، لأن ذلك مما يفرق ولا يجمع.

الصحبة الصحبة والجماعة

يقول الأستاذ عبد السلام ياسين في "المنهاج النبوي" تحت عنوان: لا جهاد إلا بجماعة منظمة:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

"ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فلابد من أن يتولى تربية جند الله صالحو الأمة من أولياء الله. فإذا اعتبرنا أن من أولياء الله من لا وعي له بحاضر الإسلام ولا بمستقبله، ولا كفاءة له لتنظيم الجهاد وقيادته مع وجود فضله وعلمه، ومع ظهور كرامة الله له، برز لنا مشكل ليس بالسهل حله.

"ذلك أن تعدد الصحبة، وتعدد "المتبوعين المقدمين" كما يعبر الغزالي، قد يكون سببا في صدع وحدة الجماعة. فإن أولياء الله العارفين به ما هم في درجة الصحابة، رضي الله عنهم، فهم أكثر تعرضا للخلاف منهم. ولا هم معصومون. لنخشى أن ينشأ عن تفرقهم تفرق الأمة من حيث نسعى لتجمع.

"فكيف نجمع بين صحبة مربين يدلوننا على طريق معرفة الله فيربون لنا رجالا محسنين، هم على كل حال صلب الجماعة وقوامها، مع الاحتفاظ بنظام الجماعة ووحدتها؟

"فطر الله، عز وجل، هذا الإنسان على الأنانية والدعوى فقل ما تجد بشرا لا يحدث نفسه بالرئاسة على الأمثال حتى ولو كان من المؤمنين. قال أحد الصالحين: آخر ما يخرج من قلب العارفين بالله حب الرئاسة.

"فنزيد على ما درج عليه سلفنا من شروط الولاية وأهلية التربية شرطا نعتبره أساسيا للحفاظ على وحدة الصف.

"نعتبر مربيا صالحا للجهاد من آتاه الله من فضله، زيادة على ما يؤتي أحباءه من سر، وفتح، وكشف، ومعرفة بربه، وتقوى، واتباع لسنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مزية لا تعدلها –بالنسبة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لمستقبل الأمة– مزية، خصلة من خصال الإيمان لا تعدلها خصلة بالنسبة لمستقبل الأمة، ألا وهي جمع الجماعة والحفاظ على وحدتها (...) (لكي) لا يغلب جانب التأمل، والذكر المنفرد، والتقوى الانعزالية، والخلوة القاعدة، جانب التحرك والجهاد لإقامة الدولة الإسلامية والخلافة على منهاج النبوة" (المنهاج النبوي، ص **129**).

الصحبة + الجماعة + التنظيم

وتحت عنوان "الصحبة والجماعة تنظيما" نقرأ في المنهاج النبوي ما يوضح بجلاء أهمية صحبة أولياء الله الصالحين وبالتحديد، المجاهدين الشاهدين، القائمين لله رب العالمين، الذين تربوا تربية متوازنة، تقوى وفكرا وحركة، أو بتعبير البنا، رحمه الله، تربية وعلما وجهادا. يقول الأستاذ عبد السلام ياسين، جزاه الله خيرا: "نسمي "تربية متوازنة" تلك التربية الإيمانية التي لا تقصر بالمؤمن عن درجة المجاهدين ولا تجعله من غثاء الحركية الجوفاء الخالية من لب الإحسان.

"التربية المثلى هي التي تجعل من جندي الله عارفا بالله مجاهدا في سبيله. فمن المتصدين للجهاد من هم في حماس إيماني دون الصدق. ومن أولياء الله من اعتزل الناس فلا يحدث نفسه بإحياء غيره فضلا عن إحياء أمة" (المرجع نفسه، ص **129**).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قيادة الجماعة ومعيار الأفضلية

ويضيف الأستاذ: "وكيفما كان فضل الرجل الصالح فإن الله، عز وجل، أعطانا معيارا للأفضلية حيث قال: "فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما" (النساء، **95–96**).

قد تجد وليا لله يجمعك على الله مع القعود.

خير منه ولي لله يجمعك على الله مع الجهاد (...)

"فإذا أراد الله بجماعة المؤمنين رشدا قيد لها من أوليائه من يشد أواصرها بالصحبة المستمدة قوتها من القلوب، الواقفة على باب الله تطرق تسترحم، تستفتح، تتضرع، تبكي شوقا ولهفة، كل ذلك والجوارح آخذة في تعبئة الجهود، والعقول منكبة على العلم النافع وإعداد ما أمرنا به من قوة الخبرة والتخطيط.

"الجماعة المؤمنة المجاهدة تركيب عضوي كالجسد الواحد. فقيادة تمثل الرأس المفكر دون أن تكون في نفس الوقت قلب الجماعة الحي قيادة لا تجمع الكفاءتين الإيمانيتين: الرحمة القلبية والحكمة العقلية. وقيادة ذات رحمة في القلب ونورانية وكرامات لا تقدر على فهم الواقع والتخطيط للمستقبل والتنفيذ قيادة كسيحة بميزان ما نرى ونحكم، "وإن الله لمع المحسنين" (العنكبوت، **69**) المحسنين يعبدونه سبحانه كأنهم يرونه، المحسنين في فهم مهمات الجهاد وتنفيذها، وقد كتب الله الإحسان على كل شيء، من رأس

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الأمر كله وهو صلاح القلب إلى ما يتبع من جليل الأمر ودقيقه" (المنهاج النبوي، 130-131).

وكأني بالقارئ الكريم يستعجل سماع شهادة الشهيد في مذكراته وباقي كتاباته، لتكون أصدق في نقل خبر صوفية منبته ومنشئه، وروحانية دعوته وفكرته عساها تلقى منه آذانا صاغية لا وقر فيها، وقلبا واعيا لا مبيت ولا منبت فيه، فتكون لحاله بحال الرجال أهل الكمال منهضة، ويكون مقاله دالا له على الله، ولوسنان الإحسان في فطرته موقظا حتى يعبد الله كأنه يراه. وعلى الله قصد السبيل.

الفصل الثالث: مذكرات

المذكرات والتحدث بنعمة الله

نعم الله على خلقه مما يستحيل إحصاؤه ذكرا وحرا "وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها" (النحل، 18). وبالضمن يستعصي إحصاء المنعم عليهم من خلق الله ظاهرا وباطنا. إلا أن بعضا من هؤلاء المنعم عليهم تركوا من العلم نافعا توارثته الأجيال، جيلا بعد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

جيل، ليكون ذلك من عملهم الذي لا ينقطع حتى بعد أن ينقطع حبل العمر.

وفي ما تركوه من علم حياة لأولي الألباب. وعلم الرجال المحسنين على أصناف شتى، نذكر منها، فضلا عن العلوم الشرعية تفسيرا وفقها وحديثا وأصولا وسيرة:

1) علما بالتربية والسلوك، تزكية وتعليما للكتاب والحكمة الربانية.

2) وعلما بالآداب النبوية الدقيقة، والشمائل المحمدية السنية.

3) وعظات ولمعات ورشحات ورسائل وشذرات، وحكما عطائية، ولطائف مننية.

4) وتجارب وسيرا ذاتية ومذكرات شخصية.

ويعنينا من هذا العلم الصنف الأخير "المذكرات". وقد وصلنا منها غير قليل، نذكر منها على سبيل المثال: "المنقذ من الضلال" لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي، و"هذه تجربتي هذه شهادتي" لسعيد حوى، و"مذكرات الدعوة والداعية" للشهيد حسن البنا.

مذكرات البنا محصلة تجربة حياتية

ومذكرات حسن البنا من الكتب القيمة النادرة التي لم تحظ بالعناية اللازمة. لأنها ليست سيرة ذاتية وحسب، بل إنها محصلة تجربة حياتية غنية بالأحداث والمواقف والأقوال والآراء الممتعة والمفيدة. وأيضا فهي مذكرات غالية، تدل دلالة قوية على أن الرجل كان أهلا لتلك الشهادات التي قدمناها بين يديها، وأن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عناية الله ورعايته له شملته منذ ولادته إلى وفاته، بل إلى ما بعد وفاته، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

ورغم أن الكتاب ليس سيرة ذاتية بالمعنى المتعارف عليه للكلمة، لكونه لا يرصد حياة الرجل من البداية إلى النهاية، فإنه مع الشهادات السابقة التي ذكرناها آنفا، والمذكرات الأخرى خارج "مذكرات الدعوة والداعية"، تبقى مادة خاما، وخميرة صالحة للاستثمار التربوي والفكري والدعوي، بقصد بسط النموذج، وعرض النصوص، وتجلية الشهادات، واستخلاص الدروس والعظات المفضية بنا، آخر المطاف، إلى أن نتبين أن الصحبة منطلق الوعي، وحادي السعي، وبدء البذر قبل السقي والجني. وأن ذكر الله، والصدق مع الله، وصبر النفس مع الصادقين الذين يريدون وجه الله، هي المسيرة السوية على صراط الله المستقيم، الذي ذروة سنامه الجهاد في سبيل الله على علم وبصيرة وبينة، لإعلاء كلمة الله، وإزهاق الباطل، وإنزال قدر الله وموعود رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على منهاج النبوة على واقع المدافعة والصراع.

وإن التجارب المتراكمة، والخبرات المستفادة، حكمة هي ضالة المؤمن، وهي إرث الرجال على مر الأجيال. وإن التجربة الصوفية من هذه التجارب التي لا غنى عنها للداعية الخبير المنيب إلى الله، المنعم عليه بنعمة الهداية والاستقامة والاستواء، شرط ألا تقيده عن الدعوة الجامعة، بالثلث أو الثلثين، عن الكل تربية وعلما وجهادا، أو تزيغ بقطار سكته عن السنة، المعرفة بأل، تلك التي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تعني كمال الاتباع سيرا على قدم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والراشدين المهديين من بعده، رضي الله عنهم أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما الباحث عن الحق والحقيقة فالمذكرات تعنيه، لأنها إخبار صادق وأمين، يذكره بدعوة إيمانية إحسانية، وداعية إلى الله ربانيا. يدعوه نموذجه المعروض عليه أقوالا وأحوالا، ومواقف وسلوكا، وجهادا متواصلا وبالله موصولا، ليقرأ أولا ما به يتذكر ويعتبر، وما عليه يقيس ويختار بعد أن يفحص ويختبر. يستجيب إلى دعوة الحق مجيبا لنداء الله بالكينونة مع الصادقين، واستهداء صراط المنعم عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، واتباع سبيل المنيبين، والانتساب إلى القوم المحبين المحبوبين، الأذلة على المؤمنين، الأعزة على الكافرين، الذين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة اللائمين. فإن استجاب ولبى، وشبابه في طاعة الله أبلى، وعمره في الشهادة بالقسط والقيام لله بالحق أفنى، نال ما نوى، وأفضل مما نوى.

وفي هذا المعنى يقول سيدي عبد القادر الجيلاني في كتابه القيم "الفتح الرباني" (ص 35):

"إذا تم لعبد ما ذكرت، صح زهده في الدنيا والآخرة –أي كان طلبه وجه الله فوق طلبه جزاء الآخرة. لأن من أقبل الله تعالى عليه منحه خير الدنيا والآخرة– (...) تصير ذرته جبلا، قطرته بحرا، كوكبه قمرا، قمره شمسا، قليله كثيرا، محوه وجودا، فناؤه بقاء، تحركه ثباتا، تعلو شجرته وتشمخ إلى العرش وأصلها إلى الثرى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(...) لا دنيا تملكه (...). فإذا تم هذا صلح هذا العبد للوقوف مع الخلق، والأخذ بأيديهم، وتخليصهم من بحر الدنيا. فإذا أراد الله بالعبد خيرا جعله دليلهم، وطبيبهم، ومؤدبهم، ومدربهم، وترجمانهم، وسانحهم، ومنحتهم، وسراجهم، وشمسهم".

وإن لم يستجب فالمذكرات عند السالي خلي الفؤاد من هم التربية والجهاد، إخبار عن مثال صنف من الرجال يسمو نموذجه على مدارك الخيال، يعز وجوده ويستحيل إيجاده. أو هي تذكير بماض مضى وانتهى، وإنما يدرك المرء ما يستطيع، لا ما تمنى واشتهى. أو هي آراء يؤخذ منها ويرد، وهم رجال ونحن رجال. والكتاب والسنة هما العاصمان من الانحراف، فليكن الأخذ عنهما مباشرة لا واسطة، وإلا فما بعد الحق إلا الضلال. أو هي –أي المذكرات– صفحات ملأى بالبدع والضلالات، فقراءتها حرام، وصاحبها في النار، وإخوانه إخوان الشياطين، ومن لم يكفر الكافر فهو كافر وأضل سبيلا. وغيرها من الأحكام الجاهزة التي تفتقد فضيلة السداد.

السلوك علم يؤخذ من أفواه الرجال

غير أن صنفا آخر من قراء المذكرات –إن وجدت من يقرأها ويستفيد منها ويفيد– إنما يعجب بها وبصاحبها إعجاب المنبهر، يمجد ويباهي ويفاخر. وما درى أن الإعجاب حجاب، إن لم يدلك ما أعجبت به، ومن أعجبك، على الله مقاله، ولم ينهضك حاله، ولم يبعثك من رقدة الغفلة لتنشط من عقال الشهوة، وتخف

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

إلى رحاب الدعوة إلى الله مع ولي مرشد حي، حياة روح وجسد. فإن علم التربية والتزكية والسلوك إنما يؤخذ من أفواه الرجال لا من بطون الكتب.

في كتاب "الإحسان"، للأستاذ عبد السلام ياسين، تجد جوابا كافيا شافيا عن سؤال الحيارى والباحثين: هل يحصل الإحسان بقراءة الكتب الجيدة مثل إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي رحمه الله؟

قال حفظه الله: "كأن الأمر عملية فكرية ونزهة ثقافية. إن العلم والاطلاع يمكن أن يكونا باعثين على العمل، إذا كان في القلب كوامن واستعداد، أما إذا كان القلب خابيا كابيا متضلعا من حب الدنيا لا مكان فيه لحب الله فما تغني القراءة.

"إن أول الطريق هبوب القلب من غفلته، فإن كان الاطلاع على علوم القوم يصور لك أحوالهم السنية فينزعج قلبك لما تجده عندهم من اعتصام بالكتاب والسنة، فتشمر للحاق. ويتبع العلم العمل، فذاك هو المطلوب" (الإحسان، ص 27–28).

بالجوهر شرف علمهم لا بالأعراض

يقول الأستاذ عبد السلام ياسين مخاطبا من يدعو إلى تصوف سني يؤخذ من كتب الأموات:

"يا أخي الحبيب! يا من يوصي إخوانه بتصوف سني يرتكز على قراءة الكتب، كيف الإعراض عن الدنيا وترك ما فيها لرفع الدرجات؟ خبر هذا في كتب القوم. وفي كتاب الله وسنة رسوله،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

صلى الله عليه وسلم، أمر بالجهاد ومقارعة أهل العناد. هم، رحمهم الله، شربوها حلوة في خلواتهم وانقطاعهم في الخانقاهات والزوايا في عصور كان حفظ الدين فيها يقتضي الوحدة بأي ثمن، وكان الثمن السكوت عن الظلمة والهروب من الساحة. فكيف تدعو إلى تقليدهم؟

"بالجوهر شرف علمهم لا بالأعراض. الجوهر حب الله وصحبة أهل التربية أهل الله، والصدق في طلب الله، والذكر الدائم لله. والأعراض أذواق يوتيها الله. وإعراض عن الخلق بكيفيتهم في زماننا لا معنى له ولا يأذن به الله" (المرجع السابق، ص **30**).

بعد هذه المقدمة بين يدي المذكرات عرضا وتعليقا، نمضي إلى سرد صفحات من حياة الشهيد، تقف بنا على العين التي استقت منها دعوته الربانية الزاد والعتاد، فضلا من الله رب العباد، قدرة وتيسيرا وبركة ونورا، قبل أن يشرب بها عباد الله ويفجروها تفجيرا.

مذكرات الدعوة والداعية

في الصفحات الأولى من مذكرات حسن البنا، رحمه الله، تقرأ هذه الفقرات عن الطريقة، والشيخ، والتعلق القلبي به، وأخذ العهد عليه ومبايعته. كما تجد حديثا عن الرؤيا، والزيارة، والشوق، والمحبة، والمجالسة، والأدب. وهي مصطلحات صوفية كان لها في قلب الشهيد حضور كبير، وفي حياته فاعلية وتأثير.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الطريقة الحصافية

"وفي المسجد الصغير رأيت "الإخوان الحصافية" يذكرون الله تعالى عقب صلاة العشاء من كل ليلة، وكنت مواظبا على حضور درس الشيخ زهران رحمه الله بين المغرب والعشاء. فاجتذبتني حلقة الذكر بأصواتها المنسقة، ونشيدها الجميل، وروحانيتها الفياضة، وسماحة هؤلاء الذاكرين من شيوخ فضلاء وشباب صالحين، وتواضعهم لهؤلاء الصبية الصغار الذين اقتحموا عليهم مجلسهم ليشاركوهم ذكر الله تبارك وتعالى. فواظبت عليها هي الأخرى، وتوطدت الصلات بيني وبين شباب هؤلاء الإخوان الحصافية ومن بينهم الثلاثة المقدمون: الشيخ شلبي الرجال والشيخ محمد أبو شوشة والشيخ سيد عثمان، والشبان الصالحون الذين كانوا أقرب الذاكرين إلينا في السن: محمد أفندي الدمياطي وصاوي أفندي الصاوي وعبد المتعالي أفندي سنكل، وأضرابهم. وفي هذه الحلبة المباركة التقيت لأول مرة بالأستاذ أحمد السكري –وكيل الإخوان المسلمين– فكان لهذا اللقاء أثره البالغ في حياة كل منا. ومنذ ذلك الحين أخذ اسم الشيخ الحصافي يتردد على الأذن فيكون له أجمل وقع في أعماق القلب. وأخذ الشوق والحنين إلى رؤية الشيخ والجلوس إليه والأخذ عنه يتجدد حينا بعد حين. وأخذت أواظب على الوظيفة الزروقية صباحا ومساء، وزادني بها إعجابا أن الوالد قد وضع عليها تعليقا لطيفا جاء فيه بأدلة جميع صيغها، تقريبا، من الأحاديث الصحيحة، وسمى هذه الرسالة "تنوير

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الأفئدة الزكية بأدلة أذكار الزروقية". ولم تكن هذه الوظيفة أكثر من آيات من الكتاب الكريم، وأحاديث من أدعية الصباح والمساء التي وردت في كتب السنة تقريبا، ليس فيها شيء من الألفاظ الأعجمية أو التراكيب الفلسفية أو العبارات التي هي إلى الشطحات أقرب منها إلى الدعوات.

شيخ الطريقة الحصافية: مناقبه ومواقفه

توطئة: ويكتب الإمام في مذكراته: "وفي هذه الأثناء وقع في يدي كتاب المنهل الصافي في مناقب حسنين الحصافي وهو شيخ الطريقة الأول– ووالد شيخها الحالي السيد الجليل الشيخ عبد الوهاب الحصافي مد الله في عمره ونفع الله به –والذي توفي ولم أره حيث كانت وفاته الخميس 17 من جمادى الآخرة 1328 الهجرية، وكنت إذ ذاك في سن الرابعة عشرة فلم أجتمع به على كثرة تردده على البلد. فأقبلت على القراءة فيه، وعرفت منه كيف كان السيد حسنين رحمه الله عالما أزهريا تفقه على مذهب الإمام الشافعي، ودرس علوم الدين دراسة وساعة، وامتلأ منها وتضلع فيها. ثم تلقى بعد ذلك الطريق على كثير من شيوخ عصره، وجد واجتهد في العبادة والذكر والمداومة على الطاعات حتى إنه حج أكثر من مرة. وكان يعتمر مع كل حجة أكثر من عمرة. وكان رفقاؤه وأصحابه يقولون: ما رأينا أقوى على طاعة الله وأداء الفرائض والمحافظة على السنن والنوافل منه، رحمه الله، حتى في آخر أيام حياته وقد كبرت سنه ونيف عن الستين. ثم أخذ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يدعو إلى الله بأسلوب أهل الطريق، ولكن في استنارة وإشراق وعلى قواعد سليمة قويمة، فكانت دعوته مؤسسة على العلم والتعليم، والفقه والعبادة والطاعة والذكر، ومحاربة البدع والخرافات الفاشية بين أبناء هذه الطرق، والانتصار للكتاب والسنة على أية حال، والتحرر من التأويلات الفاسدة، والشطحات الضارة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبذل النصيحة على كل حال. حتى إنه غير كثيرا من الأوضاع التي اعتقد أنها تخالف الكتاب والسنة، ومما كان عليه مشايخه أنفسهم. وكان أعظم ما أخذ بمجامع قلبي وملك علي لبي من سيرته رضي الله عنه شدته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه كان لا يخشى في ذلك لومة لائم، ولا يدع الأمر والنهي مهما كان في حضرة كبير أو عظيم. ومن نماذج ذلك أنه زار رياض باشا حين كان رئيس الوزارة، فدخل أحد العلماء وسلم على الباشا وانحنى حتى قارب الركوع. فقام الشيخ مغضبا وضربه على خديه بمجمع يده ونهره بشدة قائلا: استقم يا رجل فإن الركوع لا يجوز إلا لله، فلا تذلوا الدين والعلم فيذلكم الله. ولم يستطع العالم ولا الباشا أن يؤاخذاه بشيء. ودخل أحد الباشوات من أصدقاء رياض باشا وفي إصبعه خاتم من الذهب وفي يده عصا مقبضها من الذهب كذلك، فالتفت إليه الشيخ وقال: يا هذا إن استعمال الذهب في الحلية هكذا حرام على الرجال حل للنساء. فأعط هذين لبعض نسائك، ولا تخالف عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأراد الرجل أن يعترض، فتدخل رياض باشا وعرف بعضهما ببعض

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والشيخ مصر على أنه لابد من خلع المقبض والخاتم معا حتى يزول هذا المنكر.

"ودخل مرة على الخديوي توفيق باشا مع العلماء في بعض المقابلات فسلم على الخديوي بصوت مسموع فرد عليه الخديوي بالإشارة بيده، فقال له في عزم وتصميم: "رد السلام يكون بمثله أو بأحسن منه، فقل وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، والرد بالإشارة وحدها لا يجوز". فلم يسع الخديوي إلا أن يرد عليه باللفظ ويثني على موقفه وتمسكه بدينه.

"وزار مسجد السيد الحسين رضي الله عنه مع بعض مريديه ووقف على القبر يدعو الدعاء المأثور: "السلام على أهل الديار من المؤمنين". فقال له بعض المريدين: "يا سيدنا الشيخ سل سيدنا الحسين يرضى عني". فالتفت إليه مغضبا وقال: "يرضى عنا وعنك وعنه الله"! وبعد أن أتم زيارته شرح لإخوانه أحكام الزيارة وأوضح لهم الفرق بين البدعية والشرعية منها.

"وحدثني الوالد أنه اجتمع بالشيخ رحمه الله في منزل وجيه من وجهاء المحمودية هو حسن بك أبو سيد حسن رحمه الله، مع بعض الإخوان فدخلت الخادم، وهي فتاة كبيرة، تقدم له القهوة وهي مكشوفة الذراعين والرأس فنظر إليها الشيخ مغضبا، وأمرها بشدة أن تذهب فتستتر، وأبى أن يشرب القهوة، وألقى على صاحب المنزل درسا مؤثرا في وجوب احتشام الفتيات وإن كن خدما، وعدم إظهار الرجال الأجانب عليهن.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

"وله، رحمه الله، في ذلك أمور في غاية الكثرة والدقة معا. وكذلك شأنه دائما.

"هذه الناحية هي التي أثارت في نفسي أعظم معاني الإعجاب والتقدير. وكان الإخوان يكثرون من الحديث عن كرامات الشيخ الحسية فلم أكن أجد لها من الوقع في نفسي بعض ما أجده لهذه الناحية العملية، وكنت أعتقد أن أعظم كرامة أكرمه الله بها هي هذا التوفيق لنشر دعوة الإسلام على هذه القواعد السليمة وهذه الغيرة العظيمة على محارم الله، تبارك وتعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكل ذلك ولم تتجاوز سني الثانية عشرة.

رؤيا معبرة مبشرة وشوق إلى رؤية الشيخ

ويكتب الإمام في مذكراته: "وزادني تعلقا بالشيخ الجليل، رحمه الله، أنني رأيت في هذه الأثناء، وعلى أثر تكراري للقراءة في المنهل، فيما يرى النائم: أنني ذهبت إلى مقبرة البلد فرأيت قبرا ضخما يهتز ويتحرك، ثم زاد اهتزازه واضطرابه حتى انشق فخرجت منه نار عالية امتدت إلى عنان السماء وتشكلت فصارت رجلا هائل الطول والمنظر. واجتمع الناس عليه من كل مكان. فصاح فيهم بصوت واضح مسموع وقال لهم: "أيها الناس: إن الله قد أباح لكم ما حرم عليكم، فافعلوا ما شئتم". فانبريت له من وسط هذا الجمع وصحت في وجهه: كذبت. والتفت إلى الناس وقلت لهم: أيها الناس هذا إبليس اللعين وقد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

جاء يفتنكم عن دينكم ويوسوس لكم فلا تصغوا إلى قوله ولا تستمعوا إلى كلامه. فغضب وقال: لابد من أن نتسابق أمام هؤلاء الناس فإن سبقتني رجعت إليهم ولم أقبض عليك فأنت صادق. فقبلت شرطه وعدوت أمامه بأقصى سرعتي. وأين خطوي الصغير من خطوه الجبار، وقبل أن يدركني ظهر الشيخ، رحمه الله، من طريق معترض وتلقاني في صدره واحتجزني بيساره ورفع يمناه مشيرا بها إلى هذا الشيخ صائحا في وجهه: اخسأ يا لعين! فولى الأدبار واختفى، وانطلق الشيخ بعد ذلك. فعدت إلى الناس وقلت لهم: أرأيتم كيف أن هذا اللعين يضلكم عن أوامر الله.

"واستيقظت وكلي شوق وتقدير وترقب لحضور السيد عبد الوهاب الحصافي نجل الشيخ، رحمه الله، لأراه وأتلقى عنه الطريق ولكنه لم يحضر هذه الفترة.

زيارة وحكايات وعبر وعبرات

قال الإمام رحمه الله: "ويذكرني حديث المقبرة بما كان لأخينا في الله الشيخ محمد أبو شوشة التاجر بالمحمودية علينا من فضل في التربية الروحية، إذ كان يجمعنا عشرة أو نحوها ويذهب بنا إلى المقبرة حيث نزور القبور ونجلس بمسجد الشيخ النجيلي نقرأ الوظيفة. ثم يقص علينا من حكايات الصالحين وأحوالهم ما يرفق القلوب ويسيل العبرات، ثم يعرض علينا القبور المفتوحة ويذكرنا بمصيرنا إليها، وبظلمة القبر ووحشته. ويبكي فنبكي معه، ثم نجدد التوبة في خشوع وحرارة واستحضار عجيب وندم وعزم. ثم كثيرا ما كان

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يربط لكل واحد منا حول معصمه سوارا من الخيط الغليظ (الدوبارة) ليكون ذكرى التوبة، ويوصينا بأن أحدنا إذا حدثته نفسه بالمعصية أو غلبه الشيطان فليمسك بهذا السوار، وليتذكر أنه تاب إلى الله وعاهده على طاعته وترك معصيته. وكنا نستفيد من هذه النصيحة كثيرا. وجزاه الله عنا خيرا.

تعلق القلب بالشيخ وأخذ العهد عليه، ومبايعته

قال رحمه الله: "وظللت معلق القلب بالشيخ، رحمه الله، حتى التحقت بمدرسة المعلمين الأولية بدمنهور وفيها مدفن الشيخ وضريحه وقواعد مسجده الذي لم يكن تم حينذاك، وتم بعد ذلك، فكنت مواظبا على الحضرة في مسجد التوبة في كل ليلة. وسألت عن مقدم الإخوان فعرفت أنه الرجل الصالح التقي الشيخ بسيوني العبد التاجر، فرجوته أن يأذن لي بأخذ العهد عليه ففعل، ووعدني بأنه سيقدمني للسيد عبد الوهاب عند حضوره، ولم أكن إلى هذا الوقت قد بايعت أحدا في الطريق بيعة رسمية، وإنما كنت محبا وفق اصطلاحهم.

"وحضر السيد عبد الوهاب، نفع الله به، إلى دمنهور وأخطرني الإخوان بذلك فكنت شديد الفرح بهذا النبأ، وذهبت إلى الوالد الشيخ بسيوني ورجوته أن يقدمني للشيخ ففعل، وكان ذلك عقب صلاة العصر من يوم 4 رمضان سنة 1341 الهجرية. وإذا لم تخني الذاكرة، فقد كان يوافق يوم الأحد حيث تلقيت الحصافية الشاذلية عنه وأذن لي بأورادها ووظائفها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

"وجزى الله عنا السيد عبد الوهاب خير الجزاء، فقد أفادتني صحبته أعظم الفائدة وما علمت عليه في دينه وطريقه إلا خيرا، وقد امتاز في شخصيته وإرشاده ومسلكه بكثير من الخصال الطيبة: من العفة الكاملة عما في أيدي الناس، ومن الجد في الأمور والتحرز من صرف الأوقات في غير العلم أو التعلم أو الذكر أو الطاعة أو التعبد، سواء أكان وحده أم مع إخوانه ومريديه. ومن حسن التوجيه لهؤلاء الإخوان وصرفهم عمليا إلى الأخوة والفقه وطاعة الله.

"وأذكر من أساليبه الحكيمة في التربية أنه لم يكن يسمح للإخوان المتعلمين أن يكثروا الجدل في الخلافات أو المشتبهات من الأمور، أو يرددوا كلام الملاحدة أو الزنادقة أو المبشرين مثلا أمام العامة من الإخوان. ويقول لهم: اجعلوا هذا في مجالسكم الخاصة تتدارسونه فيما بينكم. أما هؤلاء فتحدثوا أمامهم بالمعاني المؤثرة العملية التي توجههم إلى طاعة الله، فقد تعلق بنفس أحدهم الشبهة ولا يفهم الرد فيتشوش اعتقاده بلا سبب، وتكونون أنتم السبب في ذلك. وأذكر أن من كلماته التي لا أزال أحفظها والتي وجهها إلي وإلى الأخ الأستاذ أحمد السكري في بعض هذه الجلسات ما معناه: إنني أوسم أن الله سيجمع عليكم القلوب ويضم إليكم كثيرا من الناس، فاعلموا أن الله سيسألكم عن أوقات هؤلاء الذين سيجتمعون عليكم أفدتموهم فيها، فيكون لهم الثواب ولكم مثلهم، أم انصرفت هباء، فيؤاخذون وتواخذون؟.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وهكذا كانت توجيهاته كلها إلى الخير وما علمنا عليه إلا خيرا "وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين" (يوسف، **81**).

تأسيس جمعية الحصافة الخيرية

قال رحمه الله: "وفي هذه الأثناء بدا لنا أن نؤسس في المحمودية جمعية إصلاحية هي "جمعية الحصافة الخيرية". واختير أحمد أفندي السكري التاجر بالمحمودية رئيسا لها وانتخبت سكرتيرا لها. وزاولت الجمعية عملها في ميدانين مهمين: الميدان الأول: نشر الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، ومقاومة المنكرات والمحرمات الفاشية كالخمر والقمار وبدع المآتم. والميدان الثاني: مقاومة الإرسالية الإنجيلية التبشيرية التي هبطت إلى البلد واستقرت فيها، وكان قوامها ثلاث فتيات رأسهن مسز (ويت) وأخذت تبشر بالمسيحية في ظل التطبيب وتعليم التطريز وإيواء الصبية من بنين وبنات. وقد كافحت الجمعية في سبيل رسالتها مكافحة مشكورة وخلفتها في هذا الكفاح جمعية "الإخوان المسلمين" بعد ذلك".

وفي ما سيأتي من المذكرات ذكر لمخالفة البنا شيخه في الرأي، وافتراقهما على عهد حفظ الود، واستثمار الشهيد للمكتسب الصوفي، استغراقا في العبادة، وعلما وفق دراسة، وقياما وذكرا ووعظا، وزيارات وصلات روحية، وصمتا وعزلة شعورية، مع التأدب مع المشايخ بأدب الطريق، وتجنب الخوض في المختلف فيه من أمورهم الموغلة في التجريد، أو التي لا تستصيغها الحويصلات الضيقة. والنصح لهم بمحبة وعلم وأدب مع الإفادة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

من ثروتهم العلمية، وتخليصها مما علق بها، والسعي الحكيم والرحيم من أجل تقريب الهوة بين العلماء والصوفية والجماعات الإسلامية، سعيا نحو تكوين خير أمة.

إنشاء جمعية "الإخوان المسلمون" وفراق ما بين البنا وشيخه

قال رحمه الله: "واستمرت صلتنا على أحسن حال بشيخنا السيد عبد الوهاب حتى أنشئت جمعية الإخوان المسلمين وانتشرت، وكان له فيها رأي ولنا فيها رأي. وانحاز كل إلى رأيه، ولا زلنا نحفظ للسيد، جزاه الله عنا خيرا، أجمل ما يحفظ مريد محب مخلص لشيخ عالم عامل تقي، نصح فأخلص النصيحة وأرشد فأحسن الإرشاد.

رأي في التصوف

قال رحمه الله: "ولعل من المفيد أن أسجل في هذه المذكرات بعض خواطر –حول التصوف والطرق في تاريخ الدعوة الإسلامية– تتناول نشأة التصوف وأثره وما صار إليه وكيف تكون هذه الطرق نافعة للمجتمع الإسلامي. وسوف لا أحاول الاستقصاء العلمي أو التعمق في المعاني الاصطلاحية، فإنما هي مذكرات تكتب عفو الخاطر، فتسجل ما يتردد في الذهن وما تتحرك به المشاعر، فإن تكن صوابا فمن الله ولله الحمد، وإن تكن غير ذلك فالخير أردت ولله الأمر من قبل ومن بعد.

"حين اتسع عمران الدولة الإسلامية صدر القرن الأول، وكثرت فتوحها وأقبلت الدنيا على المسلمين من كل مكان. وجبيت إليهم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثمرات كل شيء، وكان خليفتهم بعد ذلك يقول للسحابة في كبد السماء: شرقي أو غربي فحيثما وقع قطرك جاءني خراجه. وكان طبيعيا أن يقبلوا على هذه الدنيا يتمتعون بنعيمها، ويتذوقون حلاوتها وخيراتها، في اقتصاد أحيانا، وفي إسراف أحيانا أخرى. وكان طبيعيا أمام هذا التحول الاجتماعي، من تقشف عصر النبوة الزاهر إلى لين الحياة ونضارتها فيما بعد ذلك، أن يقوم من الصالحين الأتقياء العلماء الفضلاء دعاة مؤثرون يزهدون الناس في متاع هذه الحياة الزائل، ويذكرونهم بما قد ينسونه من متاع الآخرة الباقي: "وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون" (العنكبوت، **64**). ومن أول هؤلاء الذين عرفت عنهم هذه الدعوة الإمام الواعظ الجليل الحسن البصري، وتبعه على ذلك كثير من أضرابه الدعاة الصالحين، فكانت طائفة في الناس معروفة بهذه الدعوة إلى ذكر الله واليوم الآخر، والزهادة في الدنيا، وتربية النفوس على طاعة الله وتقواه.

"وطرأ على هذه الحقائق ما طرأ على غيرها من حقائق المعارف الإسلامية فأخذت صورة العلم الذي ينظم سلوك الإنسان ويرسم له طريق من الحياة خاصا: مراحله الذكر والعبادة ومعرفة الله، ونهايته الوصول إلى الجنة ومرضاة الله.

"وهذا القسم من علوم التصوف، واسمه "علوم التربية والسلوك" لاشك أنه من لب الإسلام وصميمه، ولاشك أن الصوفية قد بلغوا به مرتبة من علاج النفوس ودوائها، والطب لها والرقي بها، لم يبلغ إليها غيرهم من المربين. ولاشك أنهم حملوا الناس بهذا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الأسلوب على خطة عملية من حيث أداء فرائض الله واجتناب نواهيه، وصدق التوجه إليه، وإن كان ذلك لم يخل من المبالغة في كثير من الأحيان تأثرا بروح العصور التي عاشت فيها هذه الدعوات: كالمبالغة في الصمت والجوع والسهر والعزلة. ولذلك كله أصل في الدين يرد إليه، فالصمت أصله الإعراض عن اللغو، والجوع أصله التطوع بالصوم، والسهر أصله قيام الليل، والعزلة أصلها كف الأذى عن النفس ووجوب العناية بها. ولو وقف التطبيق العملي عند هذه الحدود التي رسمها الشارع لكان في ذلك كل الخير.

الدعوة الصوفية خير فيه دخن وأهلها على استعداد لتنمية وتقويم نحو الأحسن

قال رحمه الله: "ولكن فكرة الدعوة الصوفية لم تقف عند حد السلوك والتربية، ولو وقفت عند هذا الحد لكان خيرا لها وللناس، ولكنها جاوزت ذلك بعد العصور الأولى إلى تحليل الأذواق والمواجد، ومزج ذلك بعلوم الفلسفة والمنطق ومواريث الأمم الماضية وأفكارها، فخلطت بذلك الدين بما ليس منه، وفتحت الثغرات الواسعة لكل زنديق أو ملحد أو فاسد الرأي والعقيدة ليدخل من هذا الباب باسم التصوف والدعوة إلى الزهد والتقشف، والرغبة في الحصول على هذه النتائج الروحية الباهرة. وأصبح كل ما يكتب أو يقال في هذه الناحية يجب أن يكون محل نظر دقيق من الناظرين في دين الله والحريصين على صفاته ونقائه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

"وجاء بعد ذلك دور التشكل العملي للفكرة فنشأت فرق الصوفية وطوائفهم، كل على حسب أسلوبه في التربية. وتدخلت السياسة بعد ذلك لتتخذ من هذه التشكيلات تكأة عند اللزوم. ونظمت الطوائف أحيانا على هيئة النظم العسكرية، وأخرى على هيئة الجمعيات الخاصة. حتى انتهت إلى ما انتهت إليه من هذه الصورة الأثرية التي جمعت بقية ألوان هذا التاريخ الطويل، والتي يمثلها الآن في مصر مشيخة الطرق الصوفية ورجالها وأتباعها.

"ولاشك أن التصوف والطرق كانت من أكبر العوامل في نشر الإسلام في كثير من البلدان وإيصاله إلى جهات نائية ما كان ليصل إليها إلا على يد هؤلاء الدعاة، كما حدث ويحدث في بلدان إفريقيا وصحاريها وسطها، وفي كثير من جهات آسيا كذلك.

"ولاشك أن الأخذ بقواعد التصوف في ناحية التربية والسلوك له الأثر القوي في النفوس والقلوب، ولكلام الصوفية في هذا الباب صولة ليست لكلام غيرهم من الناس. ولكن هذا الخلط أفسد كثيرا من هذه الفوائد وقضى عليها.

"ومن واجب المصلحين أن يطيلوا التفكير في إصلاح هذه الطوائف من الناس. وإصلاحهم سهل ميسور، وعندهم الاستعداد الكامل له، ولعلهم أقرب الناس إليه لو وجهوا نحوه توجيها صحيحا؛ وذلك لا يستلزم أكثر من أن يتفرغ نفر من العلماء الصالحين العاملين، والوعاظ الصادقين المخلصين لدراسة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

هذه المجتمعات، والإفادة من هذه الثروة العلمية، وتخليصها مما علق بها، وقيادة هذه الجماهير بعد ذلك قيادة صالحة.

"وأذكر أن السيد توفيق البكري، رحمه الله، فكر في ذلك. وقد عمل دراسات علمية عملية لشيوخ الطرق وألف لهم فعلا كتابا في هذا الباب. ولكن المشروع لم يتم ولم يهتم به من بعده الشيوخ. وأذكر من ذلك أن الشيخ عبد الله عفيفي، رحمه اله، كان معنيا بهذه الناحية، وكان يطيل الحديث فيها مع شيوخ الأزهر وعلماء الدين. ولكنه كان مجرد تفكير نظري لا أثر للتوجه إلى العمل فيه. ولو أراد الله والتقت قوة الأزهر العلمية بقوة الطرق الروحية بقوة الجماعات الإسلامية العملية، لكانت أمة لا نظير لها: توجِّه ولا توجَّه، تقود ولا تنقاد، وتؤثر في غيرها ولا يؤثر شيء فيها، وترشد هذا المجتمع الضال إلى سواء السبيل.

أيام دمنهور فترة استغراق في التعبد والتصوف

قال رحمه الله: "كانت أيام دمنهور ومدرسة المعلمين أيام الاستغراق في عاطفة التصوف والعبادة. ويقولون إن حياة الإنسان تنقسم إلى فترات، منها هذه الفترة التي صادفت السنوات التي أعقبت الثورة المصرية مباشرة لسنة **1920** إلى سنة **1923**م، وكانت سني إذ ذاك من الرابعة عشرة إلا أشهرا إلى السابعة عشرة إلا أشهرا كذلك. فكانت فترة استغراق في التعبد والتصوف، ولم تخل من مشاركة فعلية في الواجبات الوطنية التي ألقيت على كواهل الطلاب.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

"نزلت دمنهور مشبعا بفكرة الحصافية. ودمنهور مقر ضريح الشيخ السيد حسنين الحصافي شيخ الطريقة الأول، وفيها نخبة صالحة من الأتباع الكبار للشيخ. فكان طبيعيا أن أندمج في هذا الوسط، وأن أستغرق في هذا الاتجاه. وضاعف في هذا الاستغراق أن استأذنا الحاج حلمي سليمان –والذي لا يزال إلى الآن مدرسا بدمنهور– كان مثالا من أمثلة التعبد والصلاح والتقوى والتأدب بآداب الطريق. وكانت بيني وبينه رابطة روحية خاصة لهذا السبب، وأن زميله وصديقه الأستاذ الشيخ حسن خزبك رحمه الله –وكان مدرسا بدمنهور أيضا– كان يعقد كثيرا من الاجتماعات العلمية والوعظية في بيته، وكان يدرس "الإحياء" قبل صلاة الفجر من رمضان في مسجد الجيشي. وكان الحاج حلمي يصحبني معه إلى تلك الاجتماعات، فأجد نفسي وأنا الطالب الصغير مع رجال كبار فيهم الأساتذة الذين يدرسون لي في المدرسة، وغيرهم من العلماء والفضلاء. وكلهم يشجعونني ويشجعون أمثالي من الشباب على السير في هذا الطريق، طريق طاعة الله، فكانت هذه كلها عوامل للتشجيع والثبات على هذه الخطة التعبدية الصوفية.

"ولست أنسى مناقشاتي الطويلة مع أستاذنا الشيخ عبد الفتاح أبو علام، أستاذ الشريعة والتفسير والحديث في المدرسة، حول ما يثار من اعتراضات على الطرق والأولياء والصوفية، وكان رجلا يبتسم في النهاية، ويشجعني على طاعة الله، ويوصيني بالدراسة العميقة، وإطالة النظر في أسرار التشريع الإسلامي وتاريخه وتاريخ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المذاهب والفرق والطوائف لينكشف لي وجه الحق: والحقيقة بنت البحث. ومع اختلافنا في الرأي في كثير من الأحيان فقد كنت أشعر بعاطفة الأستاذ تغمرني، ورغبته الصادقة في حسن توجيهي، فكنت أحبه وأقدره، ولا يتجاوز النقاش حد الإدلاء بالحجة، والرغبة في تعرف الحق.

ليالي الجيشي: علم ودراسة وقيام ووظيفة وأوراد ووعظ

قال رحمه الله "ولست أنسى في دمنهور ليالي مسجد الجيشي، أو مصلى الخطاطبة عند كوبري إفلاقة، فلقد تطور حضور درس الأستاذ الشيخ حسن خزبك قبل فجر رمضان إلى اعتكاف ليال بطولها مع لفيف من الإخوان الحصافية الصالحين في هذا المسجد: نصلي العشاء ثم نتناول قليلا من الطعام بحضرة الشيخ محمد عامر أو الأستاذ حسن فوزي أفندي المقيم بالقاهرة الآن، ثم نذكر الله بعض الوقت، وننام قليلا، ونقوم نحو منتصف الليل للتهجد إلى الفجر، ثم قراءة الوظيفة والأوراد، والانصراف بعد ذلك إلى المدرسة، إلى الوعظ للطلاب وإلى العمل لغيرهم.

"وكثيرا ما كنا نستيقظ ونحن في بيوتنا قبل الفجر بوقت طويل، لم تكن المساجد قد فتحت أبوابها فيه. فنمضي إلى المصلى على شاطئ ترعة الخطاطبة عند كوبري إفلاقة، حيث نصلي إلى قبل الفجر ونسرع إلى الفجر لندرك الجماعة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الزيارات والصلات

قال رحمه الله: "وكنا في كثير من أيام الجمع التي يتصادف أن نقضيها في دمنهور، نقترح رحلة لزيارة أحد الأولياء الأقربين من دمنهور، فكنا أحيانا نزور دسوق فنمشي على أقدامنا بعد صلاة الصبح مباشرة، حيث نصل حوالي الساعة الثامنة صباحا، فنقطع المسافة في ثلاث ساعات، وهي نحو عشرين كيلومترا، ونزور ونصلي الجمعة، ونستريح بعد الغذاء، ونصلي العصر ونعود أدراجنا إلى دمنهور، حيث نصلها بعد المغرب تقريبا.

"وكنا أحيانا نزور عزبة النوام حيث دفن في مقبرتها الشيخ سيد سنجر من خواص رجال الطريقة الحصافية والمعروفين بصلاحهم وتقواهم، ونقضي هناك يوما كاملا ثم نعود.

أيام الصمت والعزلة

قال رحمه الله: "وكانت لنا أيام ننذر فيها الصمت والبعد عن الناس، فلا يتكلم أحدنا إلا بذكر أو قرآن. وكان الطلبة على عادتهم ينتهزونها فرصة للمعاكسة، فيتقدمون إلى الناظر أو الأساتذة مبلغين أن فلانا الطالب قد أصِّيب في لسانه، ويأتي الأستاذ ليستوضح الأمر، فكنا نجيبه بآية من القرآن فينصرف. وأذكر بالخير أستاذنا الشيخ فرحات سليم، رحمه الله، الذي كان يحترم هذه الحالة فينا ويزجر الطلاب، ويوصي بقية الأساتذة ألا يحرجوننا بالأسئلة في فترة صمتنا. وكانوا يعلمون حقا أن ذلك ليس هربا من إجابة أو تخلصا من امتحان، إذ كنا متقدمين دائما في الدروس مجيدين لها إجادة تامة. وما كنا نعرف الحكم الشرعي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

في هذا، ولكننا كنا نفعل هذا الصمت تأديبا للنفس، وفرارا من اللغو، وتقوية للإرادة حتى يتحكم الإنسان في نفسه ولا تتحكم فيه. ولقد كانت هذه الحالة تتطور في بعض الأحيان حتى تصل إلى نفور من الناس يدعو إلى العزلة وقطع العلائق. والصوفي متخفف يجب عليه أن يقطع علائقه بكل ما سوى الله، وأن يجاهد في هذه السبيل ما أمكنه ذلك" (مذكرات الدعوة والداعية، ص **19**–**31**).

مع فضيلة الشيخ الدجوي والصلة الروحية

قال رحمه الله: "كنت أقرأ للشيخ يوسف الدجوي، رحمه الله، كثيرا. وكان الرجل سمح الخلق حلو الحديث صافي الروح. وبحكم النشأة الصوفية كان بيني وبينه، رحمه الله، صلة روحية وعلمية تحملني على زيارته الفينة بعد الفينة، بمنزله بقصر الشوق أو بعطفة الدوداري بحي الأزهر" (المرجع نفسه، ص **60**).

رضى الله في التصوف الصادق وطريق التعليم والإرشاد

قال رحمه الله: "وأعتقد أن أجل غاية يجب أن يرمي الإنسان إليها، وأعظم ربح يربحه، أن يحوز رضى الله عنه؛ فيدخله حظيرة قدسه، ويخلع عليه جلابيب أنسه، ويزحزحه عن جحيم عذابه، وعذاب غضبه. والذي يقصد إلى هذه الغاية يعترضه مفرق طريقين، لكل خواصه ومميزاته يسلك أيهما شاء: أولهما طريق التصوف الصادق، الذي يتلخص في الإخلاص والعمل، وصرف القلب

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عن الاشتغال بالخلق خيرهم وشرهم، وهو أقرب وأسلم. وثانيهما: طريق التعليم والإرشاد الذي يجامع الأول في الإخلاص والعمل، ويفارقه في الاختلاط بالناس، ودرس أحوالهم، وغشيان مجامعهم، ووصف العلاج الناجح لعللهم. وهذا أشرف عند الله وأعظم، ندب إليه القرآن العظيم. ونادى بفضله الرسول الكريم. وقد رجح الثاني –بعد أن نهجت الأول– لتعدد نفعه، وعظيم فضله، ولأنه أوجب الطريقين على المتعلم، وأجملهما بمن فقه شيئا "لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون"" المذكرات، ص 64.

في زاوية الحاج مصطفى بالعراقية

قال رحمه الله: "كانت هذه الزاوية الثانية هي الزاوية التي بناها الحاج مصطفى تقربا إلى الله تعالى، وفيها اجتمع هذا النفر من طلاب العلم يتدارسون آيات الله والحكمة في أخوة وصفاء تام.

"ولم يمض وقت طويل حتى ذاع نبأ هذا الدرس، الذي كان يستغرق ما بين المغرب والعشاء. وبعده يخرج إلى درس القهاوي حتى قصد إليه كثير من الناس، ومنهم هواة الخلاف، وأحلاس الجدل وبقايا الفتنة الأولى.

"وفي إحدى الليالي شعرت بروح غريبة روح تحفز وفرقة، ورأيت المستمعين قد تميز بعضهم من بعض، حتى في الأماكن، ولم أكد أبدأ حتى فوجئت بسؤال، ما رأي الأستاذ في مسألة التوسل؟ فقلت له: يا أخي أظنك لا تريد أن تسألني عن هذه المسألة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وحدها، ولكنك تريد أن تسألني كذلك في الصلاة والسلام بعد الأذان، وفي قراءة سورة الكهف يوم الجمعة، وفي لفظ السيادة للرسول صلى الله عليه وسلم في التشهد، وفي أبوي النبي، صلى الله عليه وسلم، وأين مقرهما، وفي قراءة القرآن وهل يصل ثوابها أو لا يصل، وفي هذه الحلقات التي يقيمها أهل الطرق وهل هي معصية أو قرب إلى الله. وأخذت أسرد له مسائل الخلاف جميعا التي كانت مثار فتنة سابقة وخلاف شديد فيما بينهم. فاستغرب الرجل، وقال نعم أريد الجواب عن هذا كله؟ فقلت له: يا أخي إني لست بعالم. ولكني رجل مدرس مدني أحفظ بعض الآيات، وبعض الأحاديث النبوية الشريفة، وبعض الأحكام الدينية من المطالعة في الكتب، وأتطوع بتدريسها للناس. فإذا خرجت بي عن هذا النطاق فقد أحرجتني، ومن قال لا أدري فقد أفتى. فإذا أعجبك ما أقول، ورأيت فيه خيرا، فاسمع مشكورا. وإذا أردت التوسع في المعرفة فسل غيري من العلماء والفضلاء المختصين، فهم يستطيعون إفتاءك فيما تريد، وأما أنا فهذا مبلغ علمي، ولا يكلف الله نفسا إلى وسعها. فأخذ الرجل بهذا القول، ولم يجد جوابا وأخذت عليه بهذا الأسلوب سبيل الاسترسال، وارتاح الحاضرون أو معظمهم إلى هذا التخلص" (المذكرات، ص 75).

ما أجمله من تخلص! وما ألطفه من موقف! فراسة من خبير، يحصي ما يجول في ذهن السائل، وما يتلجلج في صدره. وتواضع صادق يحسم الموقف لصالح القلب السليم، وعلى حساب الجدل العقيم مع المتحجرة عقولهم على مسائل الخلاف الكلامي. "يؤتي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا" (البقرة، 269).

أركان الدعوة الجامعة

قال رحمه الله: "وأما رجال الطرق فقد كانوا كثرة كثيرة في هذا البلد الطيبة قلوب أهله. وكان يتردد عليهم الكثير من الشيوخ. ولا أنسى مجالس الشيخ حسن عبد الله المسلمي والشيخ عبود الشاذلي، والشيخ عبد الوهاب الدندراوي وغيرهم. وفي هذه الفترة زار الإسماعيلية الشيخ عبد الرحمن سعد وهو من خلفاء الشيخ الحافي. فهو أخونا في الطريق حينذاك، وكان يدرس ويعظ، ويرأس بعد ذلك حلقة الذكر، فقصد المسجد ولم أكن أعرفه ولا يعرفني، ودرس ووعظ، ثم دعا الناس إلى الذكر. فرأيت أسلوب الطريقة الحصافية، وتعرفت إليه أخيرا. ولكن الحق أنني لم أكن متحمسا لنشر الدعوة على أنها طريق خاص لأسباب أهمها: أنني لا أريد الدخول في خصومة مع أبناء الطرق الأخرى، وأنني لا أريد أن تكون محصورة في نفر من المسلمين، ولا في ناحية من نواحي الإصلاح الإسلامي. ولكني حاولت جاهدا أن تكون دعوة عامة قوامها العلم والتربية والجهاد، وهي أركان الدعوة الإسلامية الجامعة. ومن أراد بعد ذلك تربية خاصة فهو وما يختار لنفسه. ولكني مع هذا أكرمت الشيخ عبد الرحمن، وأحسنت استقباله، ودعوت الراغبين في الطريق إلى الأخذ عنه والاستماع إليه حتى سافر. كما تعرفت في هذه الفترة إلى السيد محمد الحافظ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

التيجاني الذي جاء إلى الإسماعيلية خصيصا ليحذر من دسائس البهائيين ومكايدهم، وقد كان لهم في هذا الوقت دعوة ودعاة في هذه النواحي، تقوى وتشتد وتنشر. فأبلى البلاء الحسن في تحذير الناس منهم، وكشف خدعهم وأباطيلهم والرد عليهم. وقد أعجبت بما رأيته من علمه وفضله ودينه وغيرته، وناقشته طويلا – وكنا نسهر ليالي عدة– فيما يأخذ الناس على التيجانية من غلو ومبالغة ومخالفات، فكان يؤول ما يحتمل التأويل، وينفي ما يصطدم بالعقيدة الإسلامية الصافية ويبرأ منه أشد البراءة.

التأدب مع الشيوخ بأدب الطريق

قال رحمه الله: "كانت طريقتي مع هؤلاء الشيوخ الكثيرين الذين يزورون الإسماعيلية، أن أتأدب معهم بأدب الطريق، وأخاطبهم بلسانهم. ثم إذا خلونا معا شرحت لكل منهم حال المسلمين، وجهلهم بأوليات دينهم، وتفكك رابطتهم، وغفلتهم عن مصالحهم الدينية والدنيوية، وما يهددهم من أخطار جسام في كيانهم الديني: يزحف الإلحاد والإباحية على معسكراتهم، وفي كياناتهم الدنيوية بغلبة الأجانب على خيرات بلادهم. وكان المعسكر غرب الإسماعيلية ومكاتب شركة قناة السويس في شرقها مددا لا ينضب من الأمثلة على ذلك. ثم أذكرهم بالتبعة التي على كاهلهم لهؤلاء الأتباع الذين وثقوا بهم وأسلموهم قيادهم، ليدلوهم على الله ويرشدوهم إلى الخير. ثم أطلب إليهم في النهاية التربية

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الإسلامية الصحيحة، وجمع كلمتهم على عزة الإسلام والعمل على إعادة مجده" (مذكرات الدعوة والداعية، ص **78–79**).

وفي ما تبقى من "المذكرات" بيان عما لقيته دعوة البنا، رحمه الله، وما عانته من قبل العادين والجاهلين. والحكمة التي قابل بها الشهيد هذه المعاناة، صابرا محتسبا، يدفع بالتي هي أحسن، عفوا سموحا، إلى رضى الله طموحا، وبذلك نصح إخوانه. وصدق من قال: لم يكن حسن البنا أعلم أهل زمانه، ولكنه كان ربانيا، عالما عاملا ومعلما بصغار العلم قبل كباره. فكان علمه منشئا للعمل، وكان علم الأكثرين من أبناء جيله منشئا للجدل. وبهذا بز أقرانه.

نحن مسلمون وكفى

يقول الشهيد رحمه الله: "يا أبناء أمتنا العزيزة علينا المحببة إلينا، نحن مسملون وكفى، ومنهاجنا منهج رسول الله، صلى الله عليه وسلم وكفى، وعقيدتنا مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله وكفى، فإن لم يعجبكم قولنا فخذوا بأقوال الأجانب عنا ومن لا يمتون بصلة إلينا.

"إننا لا نرى مسوغا للمتشكك في الإخوان المسلمين بعد وضوح أمرهم ونصاعة عقيدتهم إلا أمرين لا ثالث لهما: إما أن هذا المتشكك لم يدرس الإسلام دراسة صحيحة تمكنه من تشرب روحه وإدراك مراميه ومقاصده؛ فهو يرى في مقاصد الإخوان ما يخرج عن روح الإسلام، لأنه لم يعرف من هذا الروح إلا دائرة ضيقة لا تسمن ولا تغني من جوع. وإما أن يكون هذا المتشكك

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مريض القلب سيء الظن غير سليم القلب فهو يطغى ويتجنى ويلتمس للبرآء العيب، وكلا الأمرين وبال على صاحبه وهلاك للمتصف به" (المرجع نفسه، ص **199**).

حسبك من ثوابك على الطاعة أن رضيك مولاك لها أهلا

وفي معنى التجرد عبودية، والتجمل والتجلد صبرا وفداء، والتماس الرضى من الله تقربا وتوددا ووفاء، قال رحمه الله:

"أيها الإخوان: قبل أن آخذ معكم في حديث الدعوة أحب أن أوجه إليكم هذا السؤال: هل أنتم على استعداد بحق لتجاهدوا وليستريح الناس؟ وتزرعوا ليحصد الناس؟ وأخيرا لتموتوا وتحيى أمتكم؟ وهل أعددتم أنفسكم بحق لتكونوا القربان الذي يرفع الله به هذه الأمة إلى مكانتها؟ من العاملين من يعمل ابتغاء مال أو جاه أو وظيفة أو منصب أو عرض من أعراض هذه الدنيا، ومنهم من يعمل ابتغاء ثواب الله ورضوانه في الآخرة، ومنهم من سمت نفسه ورق حسه ودق شعوره وتسامى من مواطن المادة جميعا وانتقل إلى الملإ الأعلى، فأحب الخير للخير، وعمل الجميل لذاته، وشعر بأن ما يجد من حلاوة التوفيق لهذه المنزلة فيه الكفاءة لما بذل من تضحيات في سبيلها، وأدرك سر قول العارف "حسبك من ثوابك على الطاعة أن رضيك مولاك لها أهلا". بل سر قوله تعالى: "بل الله يمن عليكم أن هداك للإيمان إن كنتم صادقين" (الحجرات، **17**)، فإن كنتم من الصنف الأول فتخلوا حالا عن هذا الميدان الكريم فما أفلح فيه نفعي قط، ويأبى الله أن يكون

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

دينه القيم أحبولة لجر المغانم الدنيوية الزائلة، وإن كنتم من الصنف الثاني فاعملوا راشدين فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا وستجزون بالدرهم دينارا وبالحسنة أضعافا مضاعفة، "وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما" (النساء، **40**). وإن كنتم من الصنف الثالث فبخ بخ وهنيئا لكم السمو إلى ذلك العالم والاتصال بهذا الملإ الروحاني والدخول في حيز قوله تعالى: "ولسوف يرضى" (سورة الليل، **21**)" (المذكرات، ص **264**–**266**).

مذكرات أخرى من غير المذكرات

وجميل أيضا أن نصغي إلى حسن البنا وهو يحدث إخوانه ويعرف بدعوته في كلمات نورانية تؤكد –بما لا يرقى إليه جدال– أن الرجل كان نفسا مطمئنة، راجعة إلى ربها، راضية مرضية في دنيا العبادة والعمل والشهادة والجهاد والمجاهدة قبل آخرة الجنة والنعيم، والرضى والرضوان، وما يخص به الكريم أهل الإحسان من عطايا السابقين المقربين، المحبين المحبوبين الذاكرين المذكورين، الشاكرين المشكورين، المريدين المرادين، الأسوياء على صراط مستقيم من نعيم مقيم، وخلود ونضرة ونظرة في وجه من لا يخيب أجر المحسنين. وهي كلمات أثرت عنه في غير المذكرات، أو نلقها عنه بلفظه ثلة من أصحابه العدول الثقات، وأخرى أثنى عليه بها، ووصفه من عاصره وعاشره طيلة مراحل دعوته، إلى أن وافته المنية، ورحل عن هذه الحياة شهيدا، صدق ما عاهد الله عليه،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قضى نحبه ولم يبدل تبديلا رغم ما قاساه في سبيل دعوة الله من ظلم الأعداء، وكيد الحساد. وعلى قدر إيمان العبد وحبه الله ورسوله يكون الابتلاء وتكون المعاناة. ويجعل الله مع العسر يسرين والسهولة والمؤاتاة ...

كلام الإمام حول المعرفة الروحانية

يقول الإمام حسن البنا: ".. تقوية الصلة بين الوجدان الإنساني والخالق جل وعلا حتى يصل الإنسان بذلك إلى نوع من المعرفة الروحانية هو أعذب وأصدق أنواع المعرفة جميعا." (مجلة الدعوة، عدد **113**، فبراير **1986**، ص **24**).

ويزيد الإمام الشهيد هذا العنصر توضيحا وشرحا بقوله: "...وذلك أن الوجدان الإنساني أقدر على كشف المستورات غير المادية من الفكر المحدود، ويستثير الخواص النفسية الكامنة في الإنسان لتسمو إلى حظائر الملإ الأعلى، وتستشعر لذة معرفة الله تبارك وتعالى. ثم يستدل على هذا العنصر بآيات من القرآن الكريم مثل: "الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب" (الرعد، **28**) "وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه" (الإسراء، **67**)" (مجلة الدعوة، عدد **113**، ص **24**).

أنا ورقة بيضاء

ويتحدث الشهيد بنعمة الله عليه فيقول: "أنا ورقة بيضاء ناصعة البياض، أنا من ضوء محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى ضوء

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

محمد أسير، وهذا سر ما يدركني من نجاح فهو من توفيق الله وحده، لست عبقريا كما تصورونني، ولست فذا مفردا في علم أو خبرة، فهذا البناء الضخم يساهم في بنائه كثيرون مجهولون لعلهم عند الله أكبر ثوابا مني، فأنا قد أخذت في الدنيا حظا من شهرة ومعرفة حرم منه هؤلاء. لقد أخذت من الدنيا نصيبا من الشهرة وإقبال الناس علي، وكان الصالحون من المتصوفة يعتبرون ظهور الكرامة على يد الولي نقصا، وأنا أرجو أن يكرمني الله فيجعل هذه المظاهر خالصة له ولدعوته، ويجعل سبحانه من هذا الإقبال أو الجاه نصرا لدعوته ودينه" (المرجع نفسه، ص **24**).

ولنصغ إليه وهو يحدثنا عن عماد الدين وعموده كلاما ينتشلك به من عالم المادة، وضوضاء المدينة، وهوس العالم، وانكماش النفس وشحها، ليحلق بك في فضاء فسيح مريح، تشعر في صفائه وعلوه بالبعد عن كل شيء، والقرب من رب كل شيء. وتلك سعادة لا يذوق حلاوتها ويشتم عبيرها إلا عشاق الليل، القائمون إلى مناجاة ربهم في جوف الظلام وباب الله ليس عليها زحام، تتورم منهم الأقدام وهم قيام، وتلتصق جباههم بأرض العبودية والاستسلام للملك العلام، ويسألونه أن يدرجهم في سبل السلام مع النبي والصحب الكرام، لنيل الأوطار وبلوغ المرام.

كلام الإمام عن الصلاة عماد الدين

يقول الإمام: "قد علمت، أعزك الله، أن الإخوان المسلمين رأوا في الإسلام أفضل الوسائل لتهذيب نفوسهم، وتجديد أرواحهم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وتزكية أخلاقهم، فاقتبسوا من نوره عقيدتهم، واغترفوا من فيضه مشربهم. وأنت جد عليم بأن منزل الصلاة من الإسلام منزلة الرأس من الجسد، فهي عماده ودعامته وركنه، وشعيرته ومظهره الخالد، وآيته الباقية. وهي مع ذلك قرة العين، وراحة الضمير، وأنس النفس، وبهجة القلب، والصلة بين العبد والرب، والمرقاة تصعد برقيها أرواح المحبين إلى أعلى عليين، فتنعم بالأنس، وترتع في رياض القدس، وتجتمع لها أسباب السعادة من عالمي الغيب والشهادة. وتلك بارقة تسطع في نفس من قدح زنادها، وحلاوة يستشعرها من تذوق شهدها، وهل رأيت بربك أعذب وأحلى وأروع وأجلى من مظهر ذلك الخاشع العابد الراكع الساجد القانت آناء الليل، يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، وقد نامت العيون وهدأت الجفون، واطمأنت الجنوب في المضاجع، وخلا كل حبيب بحبيبه، ونادى منادي العارفين المحبين:

سهر العيون لغير وجهك ضائع وبكاؤهن لغير فقدك باطل

"آه يا أخي! إن موقفا واحدا من هذه المواقف أنفع للقلب وأفعل في النفس وأزكى للروح من ألف عظة قولية، وألف رواية تمثيلية، وألف محاضرة كلامية، وجرب تر. ولأمر ما كان ذلك في لسان القرآن آية الإحسان: "إنهم كانوا قبل ذلك محسنين، كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون" (الذاريات، الآية 16–17). ولأمر ما كان أجر هؤلاء سنيا خفيا "فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون" (السجدة، الآية 17). ألم يكن عملهم خفيا كذلك؟ وهل تصلح الخلوات في

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حضرة الرقباء؟ وهل يلذ المحب في غير خلوة نجاء؟ وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ ولقد حدثوا أن أبا القاسم الجنيد رئي بعد وفاته فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: طاحت الإشارات، وفنيت العبارات، وغابت العلوم، وضاعت الرسوم، وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في جوف الليل.

لا تستغرب أيها القارئ الكريم فما نفع القلب خير من خلوة يدخل بها ميدان فكرة، وما تزكت النفس بأفضل من ركعات خاشعات تجلو القلوب، وتقشع صدأ الذنوب، وتغسل درن العيوب، وتقذف في القلب نور الإيمان، وتثلج الصدر ببرد اليقين" (حسن البنا، الحياء في محراب الصلاة، مجلة الدعوة، عدد **110**، ص**30**).

وما أكثر ما ألهم الإمام البنا، رحمه الله، في صلاته دروسه وعظاته التي ألقاها بين إخوانه في "عاطفة الثلاثاء" عندما كان الإخوان المسلمون يفدون من كل حدب وصوب من القطر المصري، مشتاقين متلهفين لسماع إمامهم أول عهد الدعوة بالتأسيس والانتشار. فهلم بنا إلى أحد دروسه التي ألقاها على مسامع الإخوان تحت عنوان:

الوحدة التي نريدها، والداعية الذي نرضاه

قال رحمه الله: "أيها الإخوان الكرام، إنها عاطفة الثلاثاء تأبى إلا أن تبرز وجودها، وتبرهن على حياتها. وصدقوني يا إخوتي أني في صلاة المغرب كدت أستغرق في تأمل هذا المعنى (معنى الوحدة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وضرورتها) فجاء ذلك من وحي الصلاة، ولا خير في صلاة لا أمر فيها ولا نهي معها، ولا أثر لها، ولا وحي فيها. إن للصلاة لوحيا، وإن فيها لأمرا ونهيا. وهي الركن الأول وحجر الزاوية في بناء الروحانية الإسلامية. وإن عمر، رضي الله تعالى عنه، ليقول: "إني لأرتب جيشي وأنا في الصلاة" (...)

"أيها الإخوان الكرام. كان في صلاة المغرب الليلة شيء من هذا. فبينما أنا في الصلاة، ويظهر أني كنت مشتغل الخاطر بحديث الوحدة، رأيت في صلاة المغرب ونظامها وجماعتها ووضعها، رأيت في هذا كله الجواب الذي تنحل به مشكلة الفرقة الإسلامية اليوم. فحين قال المؤذن الله أكبر، الله أكبر، فإننا سكتنا وأنصتنا لهذا النداء، ونسينا حوائجنا ومصالحنا، حتى إذا تقدم شخص للإمامة، ثم سويت الصفوف بأمره، ثم قال: الله أكبر، ارتفعت الأيدي لهذا النداء. ثم إذا كبر كبروا، وإذا قرأ قرأوا، وإذا ركع ركعوا، وإذا سجد سجدوا، حتى إذا قال السلام عليكم ورحمة الله قالوا مثلما قال.

"أيها الإخوان الأحباء. لا يحتاج المسلمون في وحدتهم إلا إلى هذا الصوت. المسلمون يحتاجون إلى مناد مخلص، فينادي إلى الوحدة. وأن يكون الله سبحانه وتعالى هو الغاية، فتجتمع القلوب على حسن معرفة الله، تبارك وتعالى، وعلى كلمة التوحيد.

"نريد –أيها الإخوة– مناديا ينادينا إلى الله، ويدعونا إلى الله. فإن دعانا إلى الدنيا اختلفنا. وإن دعانا إلى المناصب اختلفنا. وإن دعانا إلى الوظائف اختلفنا. وإن دعانا إلى التقدم المادي اختلفنا.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أما حين يدعونا إلى الله، تبارك وتعالى، فلن نختلف بفضل الله، ولن تختلف لنا كلمة "ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين" (فصلت، 33). نريد داعية يتمثل قول الله تبارك وتعالى: "قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن. وسبحان الله وما أنا من المشركين" (يوسف، 108). ونريد –أيها الإخوة– استجابة لهذا الداعي (...) وحسن الاستعداد، تماما كما كان الاستعداد والتأهب عند إقامة الصلاة. نريد هذا، ثم نريد حسن التنظيم تماما كما قمنا واتجهنا إلى القبلة. إلى قبلة واحدة لتوحيد الهدف.

"أيها الإخوان الكرام، فإذا ما وجدت هذه الأمور أو هذه الشرائط: الداعية، والهدف، والاستعداد، والقبول، ثم التنظيم فأبشروا بكل خير، فإن هذه القوة التي ستزداد بكل هذه الأمور، لن تغلب ولن تهزم ولو اجتمع عليها أهل الأرض." (حديث الثلاثاء، للإمام حسن البنا، ص 362–365).

صدقت أيها الحبيب. داع إلى الله على بصيرة ومستجيب. وصف مرصوص منظم. وهدف سام موحد. ونصر من الله وفتح قريب. وإلا فهي الحيرة والتعب.

أيها الحيارى المتعبون

ولننصت إليه وهو في بحبوحة نعيم المكرمين يشرف على الحيارى الهائمين ويربت على أكتافهم بيد رحيمة ويهمس في آذانهم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بصوت الداعية الذي كله رحمة ورفق ولين يقول: في مقال بعنوان: رسالة في كلمات "أيها الحيارى المتعبون":

"أيها الحائرون في بيداء الحياة، إلى متى التيه والضلال وبيدكم المصباح المنير؟ "قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجكم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديكم إلى صراط مستقيم" (المائدة، 16). أيها الحيارى المتعبون الذين التبست عليهم المسالك فضلوا السبيل، وتنكبوا الطريق المستقيم. أجيبوا دعاء العليم الخبير: "يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم، وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له" (الزمر، 53). وترقبوا بعد ذلك طمأنينة النفس، وحسن الجزاء، وراحة الضمير. "والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين" (آل عمران، 135-136).

"أيها الأخ العاني المتعب الرازح تحت أعباء الخطايا والذنوب، إياك أعني وإليك أوجه القول: "إن باب ربك واسع فسيح غير محجوب، وبكاء العاصين أحب إلى الله من دعاء الطائعين. جلسة من جلسات المناجاة في السحر، وقطرة من دموع الأسف والندم، وكلمة من كلمات الاستغفار والإنابة يمحو الله بها زلتك، ويعلي درجتك، وتكون عنده من المقربين. وكل بني آدم خطاؤون وخير

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الخطائين التوابون. ما أقرب ربك إليك وأنت لا تدرك قربه، وما أحبك إلى مولاك وأنت لا تقدر حبه، ما أعظم رحمته بك وأنت مع ذلك من الغافلين" (حسن البنا، مجلة الدعوة، ع **116**، ص **49**).

وسنقوم بقسطنا من هذا التجديد

وفي كلمة له كتبها في جريدة "النذير" تقرأ هذه العبارات الدالة على رحمة الداعي وحكمته ويقينه في وعد الله، وموعود رسوله، وحسن ظنه، وواسع ثقته بتأييد الله ونصرته: "منهم من يرى مستحيلا على هؤلاء الفتية المجاهدين من الإخوان المسلمين أن يستطيعوا تحطيم هذه القيود والعودة بالناس إلى الإسلام.

"معذورون هؤلاء لأنهم لم يؤمنوا بعد بما في الإيمان من قوة وجبروت، ولم يذكروا ما فعل هذا الإيمان بالأمة من قبل ومن بعد. وهي رسالة الإسلام التي أداها الرسول، صلى الله عليه وسلم، أكمل الأداء، وائتمن عليها المجددين المصلحين من أمته. وسنقوم بقسطنا من هذا التجديد إن شاء الله. وسيغير الله بنا هذه النظم وهذه الأوضاع. ولتعلمن نبأه بعد حين...

"أما واجب الأخ المسلم إن كان جادا، فهو أن يتخطى حدود النصح إلى حدود العمل، فقد آن أوان الجد. يتصور الإخوان المسلمون أوان الجد هذا بأنه الاشتباك مع الحكومات، وهو ما يعبرون عنه دائما بنزول الميدان. لا أيها الإخوان! اشتبكوا مع أنفسكم أولا وانزلوا منها ميدان الخصومة، واشتبكوا مع هذه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

النظم الفردية التي درجتم عليها وهي تخالف الإسلام. سأدعوكم في القريب إلى تغيير الزي لنقترب من مظهر الإسلام، وسأدعوكم إلى تربية اللحية لنخالف الخواجات، وسأدعوكم إلى تغيير الأوقات فننام بعد العشاء ونستيقظ قبل الفجر أو قبيله دائما ... وسأدعوكم إلى إتقان الصلوات والحرص على الجماعات ... سأدعوكم إلى هذا وإلى كثير من أمثاله. فمن انتصر منكم على نفسه فسينتصر على كل حكومة طاغية، وسيكتب الله للجماعة النصر. ومن عجز عن قيادة نفسه فهو أعجز عن قيادة الناس. سأوافيكم ببيان كل ذلك مفصلا في القريب، وسيكون عامنا هذا القادم –إن شاء الله– عام جهاد عنيف مع النفس والبيت والعادات، فاعصوا أنفسكم. والله معكم" (مجلة الدعوة، عدد **116**، ص **48–49**).

حسن البنا وصناعة الموت الطاهرة

ونختم مذكرات الرجل بهذه الكلمة العظيمة عظمة من عاش عيشة المؤمن المطمئن الموقن بأن الله لن يتره عمله، ولن يخيب رجاءه، ولن يضيع جهاده، رغم ظلم العادين، وعداء الجاهلين، وكيد الحاسدين، وهو المحتسب الذي حسبه الله ونعم الوكيل. عظيمة هي كلمته عظمة من مات كي لا يموت، مات ليحيى ويحيي موات الأمة. مات الموتة الشريفة الطاهرة التي تمناها ودعا بها وسعى لها سعيها ثم نالها. وهو الذي كان يقول دائما: "أرجو أن يتم الله علي نعمته فألقى الله وأنا على هذه الطهارة، وأن يرزقني الله أيضا الموتة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الطاهرة التي طلبها أحد الصوفية في دعاءاته، وأنا أرددها في أورادي ... وهذه الموتة الطاهرة هي الشهادة" (مجلة الدعوة، ع 113، من مقال تحت عنوان: "جوانب من ربانية الإمام الشهيد").

"وفي موقف مشهور أمام مئات ممن كانوا يسمعونه، تحدث عن الجهاد في سبيل الله، ثم انتفض وقال: ألا تعجبون من إخواننا العباد الذين لا ينقطعون عن تلاوة دعاء الشيخ أبي الحسن الشاذلي في حزب البر، ويرددون من ذلك دائما "اللهم وارزقنا الموتة الطاهرة؟" ماذا تراهم يستحضرون من معنى الموتة الطاهرة؟ ألا إن أطهر موتة يحبها الله هي هذه، ورفع يده فحز بها على رقبته وكأنما والله قد مس الناس كلهم كهرباء، واستعلن أمامهم مشهد الفداء والذبح رأي العين. وسالت دموع، وثارت عواطف، وتعالت هتافات.

"ولقد سجل هذا المعنى في مقال ذائع له تحت عنوان (صناعة الموت) حين قال رحمه الله: "الموت صناعة من الصناعات، من الناس من يحسنها ويعرف كيف يموت الموتة الكريمة، وكيف يختار لموتته الميدان الشريف، والموقف المناسب، فيبيع القطرة من دمه بأغلى أثمانها، ويربح بها ربحا أعظم من كل ما يتصور الناس، فيربح سعادة الحياة وثواب الآخرة ولم ينقص من عمره ذرة، ولم يفقد من حياته يوما واحدا، ولم يستعجل بذلك أجلا قد حدده الله." (المرجع السابق).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لقد كان داعية ربانيا أصيلا، وكانت دعوته نبوية أصيلة أيضا. ومن الأصالة التي حرص عليها الإمام البنا، رحمه الله، وألزم الإخوان المسلمين المحافظة عليها، الاهتمام بالجانب الروحي، باعتباره من العمل الإسلامي بمثابة الروح من الجسد سواء بالنسبة للفرد أو للجماعة. لذلك نجده يقول في ركن العمل من أركان البيعة: "إن مراتب العلم المطلوبة من الأخ الصادق: إصلاح نفسه حتى يكون قوي الجسم، متين الخلق، مثقف الفكر، قادرا على الكسب، سليم العقيدة، صحيح العبادة، مجاهدا بنفسه، حريصا على وقته، منظما في شؤونه، نافعا لغيره" (عبد الحليم محمود، وسائل التربية عند الإخوان المسلمين، ط **6**، ص **15**). "وعلم الإمام البنا أن هذه الصفات لا تتحقق إلا بالتربية، فأرشد إليها ومارسها مع الإخوان، فكانت الدروس والأسر والكتيبة والرحلة والمعسكر وغيرها من وسائل التربية المعروفة في الجماعة. وتربى على يديه جيل أكرمه الله بالثبات والصدق والصبر رغم المحن وقسوتها". (مجلة الدعوة، عدد **116**، ص **7**).

الفصل الرابع: خلاصات وملاحظات

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بعد المقدمات الموضحة للمراد من هذا الموضوع المختار، وبعد الشهادات المقررة لحسن الاختيار، والمذكرات الداعمة لذلك بما تتضمنه من مواقف وآراء وأفكار، نورد هنا بعض الخلاصات منقولة من كتب بعض الدارسين المحللين الأمناء، المشهود لهم بالعدلية والنزاهة العلمية، أو من مقالات بعض الدعاة المجربين والقادة الخبراء، معززة بملاحظات وإضاءات، تقف بنا على معالم مدرسة البنا التجديدية، تنظيرا وتأطيرا، وتعبئة وتغييرا.

حسن البنا وتربية الرعيل الأول

من خلال كتاب "وسائل التربية عند الإخوان المسلمين، دراسة تحليلية تاريخية"، نتعرف مفهوم التربية عند أبناء حسن البنا رحمه الله: "التربية هي الأسلوب الأمثل في التعامل مع الفطرة البشرية توجيها مباشرا بالكلمة، وغير مباشر بالقوة، وفق منهج خاص، ووسائل خاصة، لإحداث تغيير في الإنسان نحو الأحسن" (د. علي عبد الحليم محمود، وسائل التربية عند الإخوان المسلمين: دراسة تحليلية تاريخية، ص **15**).

و"المنهج" هو الطريق الواضحة المعالم والخطة المرسومة بدقة، وهو المنهاج كذلك، قال تعالى: "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا" (المائدة، **48**)، أي طريقة إلهية يتحاكم إليها الناس" (نفس المرجع، ص **16**).

من هنا يتبين أن الرجل كان يعتمد منهاجا خاصا في تربية الإخوان المسلمين، وأن هذا المنهاج مستقى من النبع الصافي، كتاب الله

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وسنة رسوله، لكن بعقل يقظ وفهم نير نافذ هو من الله عطاء ونور، وهدى وفرقان، وبإرادة جهادية بنائية تغييرية. ومن هنا كان الإجماع، أو كاد، على أن الرجل كان مجددا مجتهدا، ولم يكن فقط عابدا زاهدا، أو داعية حركيا مجاهدا.

فكانت جماعته، نتيجة لذلك، دعوة سلفية، وطريقة سنية، وهيئة سياسية، وجماعة رياضية، ورابطة علمية ثقافية، وشركة اقتصادية، وفكرة اجتماعية. ومع هذا كله كانت حقيقة صوفية: "لأنهم يعلمون أن أساس الخير طهارة النفس ونقاء القلب والمواظبة على العمل، والإعراض عن الخلق، والحب في الله والارتباط على الخير" (وسائل التربية عند الإخوان المسلمين، ص **98**).

أما مراحل هذه الدعوة الجامعة، كما تحدث عنها الإمام، وفصل القول فيها، فهي ثلاث: التعريف والتكوين والتنفيذ.

ويعنينا، في ما نحن بصدده من هذه المراحل، مرحلة التكوين التي قال عنها الإمام في حديثه عن الطاعة بما هي ركن من أركان البيعة: "التكوين باستخلاص العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد وضم بعضها إلى بعض، ونظام الدعوة في هذه المرحلة:

– صوفي بحت من الناحية الروحية.

– وعسكري بحت من الناحية العملية.

"وشعار هاتين الناحيتين، دائما، (أمر وطاعة)، من غير تردد ولا مراجعة ولا شك ولا حرج. وتمثل الكتائب الإخوانية هذه المرحلة من حياة الدعوة (...) والدعوة فيها خاصة لا يتصل بها إلا من

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

استعد استعدادا حقيقيا لتحمل أعباء الجهاد طويل المدى كثير التبعات، وأول بوادر هذا الاستعداد (كمال الطاعة).

"وواضح أن المقصود بهذه المرحلة في تاريخ التربية عند الجماعة مرحلة الانتظام في أسر، بعد أن يكون الفرد قد مر بمرحلة التعريف التي تعد فيها الدعوة (عامة)." (المرجع السابق، ص 160-161).

الوسائل التربوية التي اعتمدها البنا في البناء

حتى إذا ما رجعنا إلى الوسائل التربوية التي تعتمدها الجماعة في تنمية أفرادها وتقويمهم وتكوينهم وإعدادهم للمهمات الجسام، ألفيناها متفقة كلها على حضور الجانب الروحي بكثافة ضمن أهدافها ومفردات برنامجها التطبيقي العملي وبخاصة ما يتعلق بالأسرة والكتيبة.

وبرجوع القارئ الكريم إلى كتاب "وسائل التربية عند الإخوان المسلمين" عند حديثه عن هاتين الوسيلتين، سيقف على هذه الحقيقة وقوفا دقيقا وعميقا وموثقا. وسنكتفي هنا بذكر بعض ما ورد في الكتاب فيما يتعلق بالكتيبة فقط؛ لأن نظامها، من بين مختلف أنظمة التكوين، "يعد نظام التكوين المركز، وأسلوب التربية العميق المباشر؛ لأنه، وحده، هو النظام الذي يجد فيه الموجه والموجه نفسيهما متجردين متفرغين، كل منهما للآخر وجها لوجه، لا تشغل أيا منهما عن نفسه ولا عن صاحبه شاغلة، فيكون القلب والعقل معا في أسمى حالات التهيؤ للتلقي والإلقاء.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وبالتعبير الحديث: للاستقبال والإرسال" (المرجع السابق، ص 221) "ونظام الكتائب نظام فريد مبتكر، لعل الأستاذ حسن البنا، رحمه الله، قد اشتقه من اجتماعات دار الأرقم بن أبي الأرقم، حيث كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يجمع المؤمنين به في ذلك الوقت المبكر –وكانوا قلة– فيبثهم ما عنده، ويقضي إليهم بذات نفسه، ويأخذهم بأسلوب من التربية الروحية العالية، حتى خرج من تلك الدار المتواضعة من كانوا أعلام الهدى، ومن حملوا مشعل النور الإسلامي فأضاءوا به جنبات الدنيا." (المرجع السابق، ص 221).

الكتيبة إحدى أهم وسائل تربية الإخوان المسلمين وتكوينهم

"الكتيبة تعني أسلوبا خاصا في تربية مجموعة من الإخوان. يقوم هذا الأسلوب على تربية الروح، وترقيق القلب، وتزكية النفس، وتعويد البدن والجوارح على الاستجابة للعبادة بعامة، وللتهجد والذكر والتدبر والفكر بصفة خاصة". (المرجع السابق، ص 220).

"وكان في نية الأستاذ المرشد أن يتدرج في إنشاء الكتائب حتى يسلك فيها كل إخوان المركز العام، على أن يقوم هو بنفسه بدور التوجيه والتربية. فبدأ أول خطوة فيه بأن جمع من الرعيل الأول أربعين أخا، وكانوا هم الكتيبة الأولى، ثم ما لبث أن جمع أربعين آخرين، فكانوا الكتيبة الثانية. وكان النظام يقتضي أن تتم كل كتيبة أربعين أسبوعا.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

"ويتلخص نظام الكتيبة وبرنامجها، سواء تلك التي أنشأها الإمام البنا، رحمه الله، مع الرعيل الأول أو تلك التي تفرعت عنها في:

1. المبيت الجماعي ليلة في الأسبوع، والأفضل أن يكون يوم صيام. هذا مع تناول الإفطار أو العشاء معا، طعاما رمزيا دون إسراف.

2. فكلمة الافتتاح من أمير الكتيبة، أو من يكلفه الأمير عن أعضاء الكتيبة، ويستحسن أن تشتمل هذه الكلمة على عظة، وتذكير بآداب الكتيبة وأهدافها.

3. تلاوة القرآن الكريم، قارئ يتلو ويسمع الباقون. وقدر التلاوة جزء من القرآن على الأقل. ويمكن أن يقرأ كل واحد في مصحفه أو من ذاكرته جزءا من القرآن، بصوت يسمعه القارئ ولا يزعج من بجواره. ولو وزع القرآن كله على عدد أعضاء الكتيبة فختموا القرآن كله في هذه الليلة لكان ذلك أكثر بركة للمجلس حيث قرئ فيه القرآن الكريم كله.

4. تلاوة الوظيفة الكبرى "المأثورات"، كل على حدة، إلا إذا دعت الضرورة لتلاوتها في جماعة.

5. قيام جزء من الليل.

6. التهجد ببعض الركعات قبل الفجر بوقت كاف.

7. الاستغفار والذكر والدعاء.

8. 9. 10. 11. دروس وكلمات في التفسير والسيرة وتاريخ الدعوة والدعاة، والتربية والتكوين.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

12. كلمة في ختام اللقاء يلقيها أمير الكتيبة، أو من ينيبه، يؤكد فيها على معاني الأخوة والحب في الله والعمل والجهاد في سبيله. ثم دعاء ختم المجلس." (المرجع السابق، ص 240–241).

والناظر الممعن، والقارئ المتفحص لهذا الذي سطرناه بتلخيص، نقلا عن كتاب أحد الخبراء المعتبرين والمعتمدين في التعريف بجماعة الإخوان المسلمين وبرامجها التنظيرية المختلفة، يتبين بما لا يدع مجالا للشك، أن حسن البنا وأبناءه من الرعيل الأول، إنما صنعوا صناعة ربانية وبنوا بناء روحيا وفق منهج تربوي روحي معلوم، وطريق سلوكي مرسوم، وبرنامج تكويني موسوم بملامح صوفية بارزة، منضبطة بضابط الكتاب والسنة. فهناك الاجتماع على الخير في مكان واحد وزمان واحد يضم الأمير وأتباعه، وهناك الوظيفة الصغرى والكبرى (المأثورات) ذكرا وتلاوة، وهناك أيضا القيام والتهجد، وهناك التذكير والتعليم والوعظ والتربية والتكوين.

وكلها داخل في أعمال تعبدية الاجتماع عليها رحمة، وتعاون على البر والتقوى، وتسابق بالخيرات وتنافس فيها. والمؤمن ضعيف بنفسه قوي بإخوته، لو وكل إلى نفسه في خلوته لأكل وقته العجز والكسل، وجبن عن مواجهة مغريات النفس ووساوس الشيطان وفتن العادة فبذل وتبذل. هذا في أن العبادات الفردية التي يملك الإنسان أن يؤديها وحده إذا قويت إرادته وسمت همته، فكيف بالأعمال التي لا يملك يقوم بها وحده إلا أن يعينه عليها مذكر ناصح، أو مساعد صالح، أو مرب معلم فالح، أو جماعة مؤمنة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لاسيما إذا تعلق الأمر بتعلم علم نافع، أو القيام بعمل جهادي بنائي تغييري تدفع به المضار، وتتحقق بموجبه المنافع.

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: ".. ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده." (حديث رواه مسلم في باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر).

وعن شعبة سمعت أبا إسحاق يحدث عن الأغر أبي مسلم أنه قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أنهما شهدا على النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "لا يقعد قوم يذكرون الله، عز وجل، إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده." (رواه مسلم في نفس الباب).

وعن أبي سعيد الخدري قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله. قال آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أقل حديثا مني وإن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، خرج على حلقة من أصحابه فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا. قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتاني جبريل فأخبرني

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أن الله، عز وجل، يباهي بكم الملائكة." (رواه مسلم في نفس الباب).

إنه الاجتماع على الخير، الخير تلاوة ودراسة، والخير ذكرا، والخير مذاكرة، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، وليجتهد المجتهدون، وبمثل هذه القربات الجماعية فليعمل العاملون، وليتقرب المتقربون. أما المغبون المفتون، أما المغبونون المفتونون ففضل الله يحجرون، ومن خرج عن سنة اجتماعهم يتهمون، ومن لم يتقيد بما قيدهم به فهمهم الحصرمي، وتأويلاتهم الضيقة، وعقلياتهم الذرية التبسيطية، وفقههم المنحبس، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، فهو كافر أو بدعي أو مشرك، أو من الفرق الضالة، وما شئت من أحكام متعسفة جائرة، ممن حرم الحكمة ولم يحذر الآخرة.

ولا يجادل أحد في أن الاجتماع على الخير يشرف بشرف المكان الذي تم فيه. ولو خيرنا وخير المحاصرون أمثالنا بين الاجتماع على العلم والدراسة والذكر والمذاكرة في بيت الله وبين الاجتماع في بيت من بيوت المؤمنين لما كان لنا إلا أن نختار بيت الله على كل بيت وكل مكان. ولكن الدعوة الصادقة تستخلص اجتماعاتها ولقاءات أعضائها من بين فرث ودم، مثلما كان يجتمع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مع صحابته، في بدء دعوته قبل هجرته، في دار الأرقم بن أبي الأرقم، ويتنعم من يعجب الكفار نباته ولا يغيظهم زرعه في الدور والقصور والمساجد الضرار، همهم الذي ليس لهم هم غيره، "علم هو بالجهل أشبه، إذ يعمدون إلى الكتاب والسنة يستنطقونهما بذهنية لم تستكمل وسائل العلم، فهي تنظر

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

إلى ماضي القرون الفاضلة النيرة بحنين ومحبة، حتى إذا دعوا لمواجهة الحاضر وتخطيط مستقبل الإسلام انكفأوا عن كآبة الحاضر وشره، وانغلق فهم التاريخ عليهم، فلعنوا، واستعاذوا بالله، وبرروا بلعناتهم الانزواء. وعلم هو الشر حين تكون النصوص سلاحا لتكفير المسلمين وتضليلهم" (عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي، ص 212)، حسدا أن قعدوا وجاهد الرجال، وغفلوا وذكر الرجال، وعزف الناس –إلا جاهل أو حسود– عن الاجتماع بهم والانضمام إلى جماعتهم وإمامهم، إن كان لهم جماعة أصلا وإمام، وأقبل الناس على دعوة الله مجسدة في جماعات مؤمنة صادقة، وقيادات قوية أمينة يجمعها –وإن تفرقت بها سبل التعبير والتغيير– هم الله والاهتمام بأمور المسلمين ورفض إعطاء الدنية من الأنفس طوعا وكرها.

لسنا هنا في معرض الانتصار لدعوة البنا وجماعته، وإنما قصدنا من هذا الذي سطرناه –يعلم الله– أن نبين أن الدعوات والحركات والجماعات والجمعيات والمنظمات الإسلامية منذ البنا، رحمه الله، أبي الصحوة الإسلامية إلى اليوم، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، هم أحرص الناس على أخذ دينهم من كتاب ربهم وسنة نبيهم. لكن ما يميزهم من غيرهم هو كونهم يأخذون هذا الدين عن ذلك الكتاب المبين وسنة سيد المرسلين بعقل يستخير الله وبه يستجير، لا بعقل الأجير الحسير، وبإرادة جهادية مؤيدة بالفهم الصحيح لا بإرادة ذيلية للجهات الرسمية أو للجهات المترفة المغرورة أو المأجورة المأزورة بالأموال النفطية،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والعلوم الكلامية الجدلية، والنيات الكليلة العليلة. أستغفر الله من تعميم لا يصيب الذين ظلموا منهم خاصة، بل قد يصيب علماء عاملين وأنصارا للسنة صادقين وقعوا في شراك الأنباء الفاسقة فأصابوا بجهالة. وقانا الله وإياهم الندم. أو توهموا أن النصوص لا تحتمل إلا فهمهم، وأن من خالفهم الرأي فقد ضل السعي. وقانا الله وإياهم آفة التعصب، وخلع علينا جلابيب الحكمة والرحمة والرفق واللين والتواضع وحسن الظن بالآخرين تحت ظلال شعار: "رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي الآخرين خطأ يحتمل الصواب". وما احتمل الصواب فالتمس له سبعين عذرا، فإن لم تنسبه إلى محتمله إحسانا فلا أقل من أن تكف لسانك عن تخطئته حيطة وحذرا، نشدانا لعدل ليس بعد حقه إلا الضلال.

ورب عقول غلف وقلوب عمي، من ورائها ألسنة شداد وأقلام حداد تنعت بالبدعة والضلالة والشرك كل اجتهاد يحتمله النص ويجيزه الشرع ويدعو إليه الواقع وتستوجبه فضائل الأعمال، جلبا لمنفعة وتحقيقا لمصلحة فردية أو جماعية. تعودت الألسن الحداد والأقلام الشداد أن تنعت كل اجتهاد من هذا القبيل اعتسافا يفتقد الدليل، وزيغا عن سواء السبيل، وعودا بالأمة إلى طرقية هي الضلال المبين! ألا إن كتابي وكتابك القرآن، وسنتي وسنتك سنة المصطفى من ولد عدنان. ولكن بأي فهم أقرأ وتقرأ؟ وبأية إرادة أطبق وتطبق؟ بل بأية أذن تصغي وأصغي، وبأي قلب نعقل ونعي؟ هنا يكمن الاختلاف، والله يحكم بيننا في ما كنا فيه نختلف. فلا يجوز لأحد أن يعتلي منبر القضاء بغير حق وأن يصدر

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الأحكام جزافا، بل المطلوب صون الآخرة عن حصائد الألسنة التي ترمي بالذي لا يلقي لكلامه بالا سبعين خريفا في نار جهنم.

بل إن التصوف الذي تتحايل ما وسعتك الحيلة لتلبس خصمك تهم الانتساب إليه، ويتحايل الخصم ما وجد إلى ذلك سبيلا ألا يدرج في سلكه، وألا يلقى في سرب أهله، إن هو إلا علم من جملة العلوم. أخطأ الناس فيه وأصابوا مثلما أخطأ أصحاب كل علم في علمهم وأصابوا. بل علمهم أشرف علم، إذ يشرف العلم بشرف من ينسب إليه، وعلمهم هو العلم بالله، وهو ثمرة تقوى الله، وهو عطاء من لدن الله إلا أن تشوبه الشوائب، أو تحجب عن غير الباحث النزيه والمتبين الأمين والمنتسب الخبير رؤية حقائقه ورقائقه ودقائقه خيوط العناكب. ولا ينتفع من المصحوب إلا الصاحب، وإلا فالواصف غير المتصف، وليس كل منتقد ناقدا، ولا كل ماش قاصدا، ولا كل متواجد واجدا، ولا كل متعبد عابدا، ولا كل متزهد زاهدا. ولا ينبئك مثل خبير. فاتقن العمل فإن الناقد بصير.

فإن شهدت مع من شهد للصوفية بما لديهم من حق، فليس لأني منهم، وأنى لمقصر مثلي أن يجاهد جهادهم ويتقرب إلى الله بمثل ما تقربوا إليه به. وما ينبغي لي وما أستطيع. وإن استدرك على الصوفية المستدركون في واقع غير واقعهم، وبفهم غير فهمهم، وبإرادة غير إرادتهم، فليس معنى هذا أنه يتبرأ منهم. وهل يملك أن يتبرأ من أمثال حجة الإسلام أبي حامد، أو سلطان العلماء العز بن عبد السلام إلا مكابر أو معاند أو جاحد. وإنما لكل قوم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

هاد، وكما تتغير الفتوى بتغير الزمان والمكان. تتغير أساليب الدعوة بتغير الزمان والمكان. وتبقى الغاية وجه الله والطريق اللاحبة سنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والتلاوة والتزكية وتعلم الكتاب والحكمة هي السنة النبوية في التربية والتغيير والبناء، وإلا فهو الضلال المبين.

وأهيب بقراء هذا الكتاب / الشهادة، أن يرجعوا إلى كتاب قيم عنوانه "التربية الروحية بين الصوفيين والسلفيين" للدكتور محمد شيخاني الصادر عن دار قتيبة سنة (1416-1995)، ففيه من النصوص والأقوال والشهادات والتراجم والأخبار ما يشفي الغليل ويعين على إعطاء كل ذي حق حقه، وإنزال الناس منازلهم عسى يتبين متبين قبل أن نصيب قوما بجهالة فنصبح على ما فعلنا نادمين. أم أن الصخابين الطعانين اللعانين العيابين، من لهم سوق رائجة في عالم الكتب والأشرطة وما وراءها من أموال وأمامها من أهوال، قد أعماهم ما يحبون، وأصمهم ما يطلبون، فنسوا الله فأنساهم أنفسهم، فهم في غيهم يعمهون، صم بكم عمي فهم لا يرجعون.

حسن البنا الداعية الرباني بكلمة جامعة

لقد استحق حسن البنا، رحمه الله، بما قدمه بين يدي آخرته من علم وتربية وجهاد أن يندرج في سلك الدعاة الربانيين أهل التقوى والإحسان، يقول الدكتور عبد الله صالح علوان:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

"لاشك أن الداعية الرباني حين يكون على هذا المستوى العظيم من التقوى والفهم والروحانية، وحين يتحلى بهذه القيم العالية من الإخلاص والصدق وحرارة الإيمان والدعوة، فإنه ينطلق في ميادين الدعوة والتبليغ والجهاد. ولو أردنا أن نستقصي أخبار هؤلاء الذين أثروا وأصلحوا وغيروا لرأيناهم أكثر من أن يحصوا، وأعظم من أن يستقصوا؛ بل إنهم كثير وكثير، كأمثال الإمام أحمد بن حنبل، والإمام الشافعي، والإمام أبي حنيفة، والإمام مالك، والإمام الحسن البصري، والإمام الفضيل بن عياض، والإمام معروف الكرخي، والإمام الجنيد البغدادي، والإمام سعيد النورسي، والإمام حسن البنا. فهؤلاء الأئمة الربانيون هم الذين حملوا خلال العصور إمامة الدعوة، ورسالة الإصلاح، ومسؤولية الهداية؛ وهم الذين جمعوا بين العبادة والجهاد، ووفقوا بين حق الله وحق العباد، وهم الذين أعلنوا صوت الهدى والحق أمام المستبدين الظالمين، ووقفوا ببسالة فائقة أمام المستعمرين الغاشمين. وهم الذين جددوا بدعوتهم وصحبتهم ميثاق الإسلام، وأدخلوا الناس في السلم فقها وعملا بعد أن دخلوا فيه وراثة وعادة، وأذاقوا مريديهم وتلامذتهم حلاوة الإسلام ولذة الإيمان. وهم الذين أخرجوا أصنافا من البشرية من سلطان الهوى ورق الشهوات، واستحواذ حب الدنيا، إلى نور الحق وهدى الإسلام، ولذة الطاعة والمناجاة." (د. عبد الله ناصح علوان، مجلة المجتمع، ع **680**، ص **40–41**).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يقول أحد تلامذة الشهيد البررة، الأستاذ عمر التلمساني، في شأن القائد القدوة الذي تطلبه الدعوة وفي شأن التربية الروحية أس البناء، وعمدة بقائه وارتقائه، في مقال بعنوان: "بين القيادة والجندية على طريق الدعوة" وهو يستحضر سيرة الشهيد ومسيرته القيادية الرائدة. قال، رحمه الله، يتحدث عن تجربته:

"على القيادة أن تولي الجانب التربوي، على كل المستويات، الاهتمام اللائق به. فالتربية هي الأساس في قوة البناء وتماسكه، وهي تعد الأجيال التي ترث الأمانة، وتتحمل الأعباء وتواصل العمل والتضحية والجهاد في جو من الأخوة والحب ودون مشاكل أو خلافات." (مجلة الدعوة، ع **98**، ص **9**).

إلى أن يقول: "يجب أن تحترز القيادة من الاستغراق في الإداريات على حساب الجانب الدعوي والروحي الذي هو الأصل، وإلا تحول العمل إلى رسميات وشكليات لا روح فيها، وقد يحدث ذلك جفوة بين الأفراد العاملين، إذ أن الناحية الروحية هي التي تغذي جو الحب والتعاون." (المرجع نفسه، ص **12**).

ومثل هذا الكلام في قولة للشهيد سيد قطب، بعثها من وراء القضبان إلى شقيقته أمينة قطب بين يدي تنفيذ الحكم عليه بالإعدام من قبل قوى الظلم والظلام، مختزلا فيها تجربته الدعوية بكلمة جامعة رائعة، تؤكد أن القادة الربانيين، كانوا ولا يزالون وحدهم المؤهلين لتجديد الدين، بما خصهم الله به من طاقات روحية فائقة، أين منها الطاقات الفكرية التي يكتسبها المختصون العلوميون. يقول الشهيد:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

"نحن في حاجة ملحة إلى المتخصصين في كل فرع من فروع المعارف الإنسانية، أولئك الذين يتخذون من معاملهم ومكاتبهم صوامع وأديرة، ويهبون حياتهم للفرع الذي تخصصوا فيه، لا بشعور التضحية فحسب، بل بشعور اللذة كذلك (...)

"ولكننا مع هذا يجب أن ندرك أن هؤلاء ليسوا هم الذين يوجهون الحياة، أو يختارون للبشرية الطريق.

"إن الرواد كانوا دائما، وسيكونون هم أصحاب الطاقات الروحية الفائقة. هؤلاء هم الذين يحملون الشعلة المقدسة التي تنصهر في حرارتها كل ذرات المعارف، وينكشف في ضوئها طريق الرحلة، مزود بكل هذه الجزئيات قوية بهذا الزاد، وهي تغذي السير نحو الهدف السامي البعيد.

"هؤلاء الرواد هم الذين يدركون ببصيرتهم تلك الوحدة الشاملة، المتعددة المظاهر في العلم، والفن، والعقيدة، والعمل، فلا يحقرون واحدا منها ولا يرفعونه فوق مستواه (...)

"إنهم قليلون. قليلون في تاريخ البشرية؛ بل نادرون، ولكن منهم الكفاية. فالقوة المشرفة على هذا الكون هي التي تصوغهم، وتبعث بهم في الوقت المقدر المطلوب." (سيد قطب، رسالة إلى أختي المسلمة، ص **26–30**).

ونختم الكلام عن ربانية حسن البنا والرعيل الأول من جماعة الإخوان المسلمين بمقتطف من مقدمة كتاب للدكتور يوسف القرضاوي، حفظه الله ورعاه، عن التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا بمناسبة مرور ثلاثين عاما على استشهاد الإمام. ولا ينبئك

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عن الرجل ومدرسته التربوية التجديدية مثل خبير عاشر الإمام وصحب الجيل الأول من الإخوان وذاق في رفقتهم حلاوة الإيمان، وظل وفيا لأيام المأثورات. حتى إذا ما جمع العلم من كل أطرافه، وحاز الجاه والحظوة لدى الناس، التفت إلى البناء المتشامخ على ذلك الأساس وقد زال طلاؤه أو كاد وامتدت إليه أيدي الأعداء والحصاد على حين غفلة من الأحفاد فكتب وأعاد، عن التربية الربانية أهم جوانب التربية وأشدها خطرا، وأعمقها أثرا. فكان مما كتبه سلسلة جديدة عنونها بالطريق إلى الله ضمنها خلاصات تجاربه ودروسه التي تلقاها في مدرسة البنا التي قال عنها في مقدمة كتابه المذكور أعلاه:

"ولست أكتب هذه الصحائف مؤرخا لحركة الإخوان ومبلغ تأثيرها في الحياة المصرية والعربية والإسلامية، فهذا جهد ينوء به فرد مهما تكن قدرته ووسائله. وإنما هو واجب الجماعة الذي فرطت فيه حتى اليوم، وإن كانت الضربات المتلاحقة التي أصابت الجماعة في العهود، تجعل لها بعض العذر لا كله.

"إنما أكتب هنا عن جانب واحد من جوانب هذه الحركة الضخمة؛ وهو: جانب التربية، كما فهمه الإخوان من الإسلام، وكما طبقوه.

"ولست أحاول هنا الاستقصاء والإحاطة، وإنما أكتفي بإبراز المعالم وإعطاء الملامح، التي تكفي لإيضاح فكرة الجماعة عن التربية، وجهودها في ممارستها، ونقلها إلى واقع حي يتمثل في بشر أحياء.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

"ولا يخفى على دارس أو مراقب أن حركة الإخوان تمثل – في الدرجة الأولى– مدرسة نموذجية ناجحة للتربية الإسلامية الحق. وأن أهم ما حققته هو تكوين جيل مسلم جديد يفهم الإسلام فهما صحيحا، ويؤمن به إيمانا عميقا، ويعمل به في نفسه وأهله، ويجاهد لإعلاء كلمته، وتحكيم شريعته، وتوحيد أمته.

"وقد ساعد على هذا النجاح جملة عوامل:

1. إيمان لا يتزعزع بأن التربية هي الوسيلة الفذة لتغيير المجتمع وبناء الرجال، وتحقيق الآمال. وكان إمام الجماعة الشهيد حسن البنا يعلم أن طريق التربية بعيدة الشقة، طويلة المراحل، كثيرة المشاق، ولا يصبر على طولها ومتاعبها إلا القليل من الناس من أولي العزم. ولكنه كان يعلم كذلك علم اليقين، أنها وحدها الطريق الموصلة لا طريق غيرها، فلا بديل لها، ولا غنى عنها. وهي الطريق التي سلكها النبي، صلى الله عليه وسلم، فكون بها الجيل الرباني النموذجي الذي لم تر عين الدنيا مثله، والذي تولى بعد ذلك تربية الشعوب وقيادتها إلى الحق والخير.

2. منهاج التربية محدد الأهداف، واضح الخطوات، معلوم المصادر، متكامل الجوانب، متنوع الأساليب، قائم على فلسفة بينة المفاهيم، مستمدة من الإسلام دون سواه.

3. جو جماعي إيجابي هيأته الجماعة، من شأنه أن يعين كل أخ مسلم على أن يحيى حياة إسلامية عن طريق الإيحاء والقدوة والمشاركة الوجدانية والعلمية. والمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده، قوي بجماعته. فالجماعة قوة على الخير والطاعة،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وعصمة من الشر والمعصية. "وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية".

4. قائد مرب بفطرته، وبثقافته، وبخبرته. وهبه الله شحنة إيمانية نفسية غير معتادة، أثرت في قلوب من اتصل به، وأفاض من قلبه على قلوب من حوله، وكان أشبه بـ "المولد" أو "الدينامو" الذي ملأ منه الآخرون "بطاريات" قلوبهم. والكلام إذا خرج من القلب دخل القلوب بغير استئذان، وإذا خرج من اللسان لم يجاوز الآذان. فصاحب القلب الحي هو الذي يؤثر في مستمعيه ومريديه. أما صاحب القلب الميت فلا يستطيع أن يحيي قلب غيره، ففاقد الشيء لا يعطيه، وليست النائحة كالثكلى.

5. عدد من المربين المخلصين، الأقوياء الأمناء، آمنوا بطريقة القائد، ونسجوا على منواله، وأثروا في تلاميذهم، ثم أصبح هؤلاء أساتذة لمن بعدهم ... وهكذا.

"ولست أعني بالمربين هنا خريجي المعاهد العليا للتربية، أو حملة الماجستير والدكتوراه فيها. وإنما أعني أناسا ذوي "شحنة" عالية من الإيمان، وقوة الروح، وصفاء النفس، وصلابة الإرادة، وسعة العاطفة، والقدرة على التأثير في الآخرين ... وربما كان أحد هؤلاء مهندسا أو موظفا بسيطا أو تاجرا أو عاملا، ممن لا علاقة به بدراسة أصول التربية أو مناهجها.

6. وسائل مرنة متنوعة، بعضها فردي، وبعضها جماعي، بعضها نظري، وبعضها عملي، بعضها عقلي، وبعضها عاطفي، بعضها إيجابي، وبعضها سلبي، من دروس إلى خطب، إلى محاضرات، إلى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ندوات، إلى أحاديث فردية، ومن شعارات تحفظ، إلى هتافات تدوي، إلى أناشيد تؤثر بكلماتها ولحنها ونغمها. ومن لقاءات دورية لمجموعات مختارة في البيوت على القراءة والثقافة والعبادة والأخوة. سميت مجموعة منها "أسرة" إيحاء بمعنى الألفة والمودة بين أبناء العائلة الواحدة، إلى لقاءات أخرى في شعبة الجماعة غالبا، موعدها الليل، تتجدد فيها العقول بالثقافة، والقلوب بالعبادة، والأجسام بالرياضة. وسميت هذه "الكتيبة" إيحاء بمعنى الجهاد، إلى غير ذلك من الوسائل والطرائق التي تهدف إلى بناء الإنسان المسلم المتكامل." (د. يوسف القرضاوي، التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا، ص 3–6).

تلكم كانت مذكرات من الرجل، وخلاصات عن فكرته، دالة على أنه كان إلى الله وبه ومعه وله، فكتب لدعوته الاستمرار، وكتب لها في القلوب وأرجاء الأرض القبول.

إنها صفحات على قلتها وقصورها وتقصيرها في الإحاطة بحياة من أبلى شبابه في طاعة الله، وأفنى عمره في الجهاد في سبيل الله، فهي شاهدة على رجل عاش طاهرا ومات طاهرا، وعلم بحياته وربى بموته رجالا وأجيالا صنعوا الحياة كما صنعوا الموت. شهادة بين يدي من يحمل عنهم قصب السبق، ويواصل مشوار البناء ليصنع التاريخ، ويعيد للأمة سابق عزها الذي افتقدته منذ حل العض محل الرشد، وانتقضت بحلوله عرا الإسلام عروة عروة من الحكم بما أنزل الله إلى الصلاة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ولئن كانت هذه الصفحات بغير حاجة إلى التعليق لما فيها من أفكار واضحة، ومواقف صريحة، ومعاني ناصحة، وكلمات ناطقة معبرة عن روحانية الصديقين وطهارة الشهداء، وطاعة الصالحين، ناضحة راشحة، فإننا لا نعدم بيننا من يقرأها بعين كليلة، وعقلية عليلة، وقلوب بالغل مغلولة. هذا إن وجدت من يقرأها، وإلا فآفتنا القادحة أننا لا نقرأ، ونحكم قبل أن نتبين.

كما لا نعدم بين ظهرانينا من يقرأها قراءة نوعية تسبر غورها، وتكشف سرها، وتمكن أصحاب الحويصلات الضيقة من جواهرها المكنونة وكنوزها الدفينة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الخامس: دروس وعظات

القارئ الذي نريد

أشرنا في مقدمات هذا الكتاب أن للقراءة دورا مهما بل حاسما في إنزال المقروء منزلته، وتقديره قدره، وإعطائه البعد المراد الذي إليه قصد الكاتب وإياه أراد. وصنفنا القارئ أصنافا، صنف المستحيي القاعد، وصنف المستغني المعرض، وصنف المستعدي المغرض. وميزنا منهم صنفين: الأول هو القارئ الذي إليه نقصد، وهو القارئ الضحية الذي يقرأ بعيون غيرية أو بعقلية حصرمية. وأما

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثاني فهو القارئ الأمنية الذي يتناول المقروء بعين غير تقبلية ولا مرآوية انعكاسية، بل بعين ناقدة نافذة تبحث في المقروء عن ضالتها من المتعة والفائدة، ومن خلال المقروء عن طلبتها من الدروس والعظات التي شأنها أن تغير ما بالنفس، حملا لها على اقتحام العقبات، ومواجهة التحديات، ونشدانا للإحسان وهو أعلى المقامات –أستغفر الله– بل طلب لوجه الله الذي بذكره تطمئن القلوب، وبحمده تتم الصالحات.

وإليك قراءات في سيرة الرجل ومسيرته، وفكرته وجماعته بعيون نحسبها، إن شاء الله، منصفة، همها أن تبحث في المقروء عن الحق والحقيقة، وأن تنسج على منوال الرجل وتسلك طريقه، إذ كان ممن سلك السبيل القويم واستقام على الطريقة.

وهكذا تصبح القراءة إبداعا قد يجعل من المقروء محطة إقلاع نحو آفاق أرحب وأوسع، وأعلى وأرفع، من الاستفادة والاستمتاع.

حتى لا يضيع الدرس من بناء الإمام وجماعته بين جهل الجاهلين وتأويل المؤولين

يعلق الأستاذ عبد السلام ياسين على هذه الصفحات المشرقة من عمر الرجل وفكره وحركته التجديدية التربوية الجهادية بقوله: "كان (يعني الأستاذ البنا) صوفيا صحب الرجال وبايع الشيخ وتتلمذ للذاكرين وسافر مع الذاكرين وزار أضرحة الأولياء، وجالس المؤمنين، وحظي بدعوات الصالحين، وفصل كل ذلك في مذكراته.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

"وكان بعدئذ مربيا صوفيا وضع لجماعته مأثورات يتلونها وظيفة في مجالس الذكر، واتخذ لهم وردا. وألح في كل مناسبة على الرابطة الروحية بين أعضاء الجماعة. وهذا ما لا يكاد يدركه حتى أصحاب البنا أنفسهم، لأن من رفقه، رحمه الله، ومن حسن اجتهاده أنه كان يعرف جماعته بأنها جماعة إسلامية ثقافية رياضية وما يشبه هذا من ضروب النشاط، ويجعل النعت الصوفي واحدا من نعوتها من بين صفات أخرى يفهمها الناس بلغة العصر على أنها حركة وجهاد وعلم ونشاط ومشاركة في الحياة العامة.

"كان من رفقه، رحمه الله، ومن حسن اجتهاده أنه تنصل من جل المصطلحات الصوفية، ليتجنب مواطن الغلط في ذهن أصحابه ومريديه الذين لا يعرفون من الصوفية إلا تكايا الانعزال، وحرفة أصحاب الأسمال.

"ورجع، رحمه الله، للكتاب والسنة، فيما يخطب ويكتب، ليتكلم بلغة جهادية هي لغة القرآن، طاويا تاريخ الإيمان والإحسان في زمن الفتنة الذي أصبح الصوفية أثناءه –القاعدون منهم– يتحدثون بلغة المناقب، وتأمل كرامات السابقين، يكتبها اللاحقون بغير دراية، فتفوتهم العبرة في حياة الأولياء من حيث تزكيتهم لأنفسهم وطلبهم لربهم بالفرض والنفل والاستقامة على الطريقة." (ذ. عبد السلام ياسين، الإسلام غدا، ص **449–450**).

ثم يقول: "ودعا الأستاذ البنا بعد هذا لالتقاء العلماء والواعظين بالصوفية، ليبحثوا عن منهاج ليردوا الأمة إلى سواء السبيل،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وتفاءل خيرا. لكن من يسميهم بعض الناظرين "صوفية الحقائق" هؤلاء الذين يتكلمون الكلام المعمي، ويدخلون الشك في عقائد المسلمين، لا تزال لهم سوق رائجة كما للمحترفين في الأدعياء، أولئك بضاعتهم الاسم والشارة والسبحة والعمامة، وكل يسبحون في فلك الكسل والجهل والمرض المزمن في هذه الأمة، مرض حب الرئاسة والظهور.

"وكأني بمن يقرأ مذكرات البنا وأخباره عن زمان إرادته وسلوكه الصوفي، يعتقد أنه يقرأ تاريخا طواه البنا يوم قام للدعوة. وإنك لتقرأ ما كتبه الإخوان المسلمون في مجلاتهم وكتبهم فلا تقرأ عن الصوفية إلا أحكاما سلبية تنبئ عن إغفال روحانية البنا ومصدرها ومصرفها في النظام التربوي للإخوان." (الإسلام غدا، ص 451-452).

وقد أفاد الشهيد، رحمه الله، من تجربة الصوفية كثيرا من الأساليب التربوية الفعالة التي ضمنها نظامه التربوي، معبرا عنها بلفظ غير اللفظ، وهادفا إلى تحقيق معاني أسمى مرتبة وأبعد مرمى.

يقول الأستاذ عبد السلام ياسين: "كان يبدأ بمبايعة تتضمن قراءة الأوراد والوظيفة إلى جانب الشروط الجهادية العامة. بعد نحو عشر سنوات من قيام الدعوة نشر البنا منهاجا يلخص ما كان فصله في رسالة التعاليم. يقول: الواجبات العشر: 1. حمل شارتنا، 2. حفظ عقيدتنا، 3. قراءة وظيفتنا، 4. حضور جلستنا، 5. إجابة دعوتنا، 6. سماع وصيتنا، 7. كتمان سريرتنا، 8. صيانة وصيتنا، 9. صحبة إخوتنا، 10. دوام صلتنا. وكل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

هذه الواجبات يجمعها مفهوم الصحبة والجماعة، وهي تفصل شروط الصحبة والجماعة. فترى كيف ذهبت مصطلحات الصوفية في التعبير عن آداب المريد من الشيخ والفقراء. وحل محلها تعليم أكثر تفتحا على الحياة العامة، وأكثر جمعا لمعاني المحبة والنصيحة والتضامن والولاء الجماعي.

" (...) لاشك أن ما بناه الشاب المجاهد وما أصابه من نجاح وتوفيق كان كفاء لصدق الروحانية، وكفاء لعمل الليل والنهار، وكفاء للمحبة التي وصلت قلب مؤمن زكي بقلوب مساكين كانوا يعملون في بحر الظلمات قبل أن يرتفع لهم نور الهداية في طلعة البنا" (المرجع السابق، ص **456–455**).

إنها كلمات شاهدة بالحق إنصافا من رجل قرأ المذكرات قراءة متفحصة وأمينة، وقراءة تحليلية عميقة، وقفت بنا على مشرب البنا، رحمه الله، الصوفي الذي كان وكانت فكرته نسخة من نماذج أهل الله ودعواتهم منقحة من الانزوائية والانعزال، ومزيدة بالجهاد في سبيل الله، منطلقها ومقصدها طلب وجه الله على شرعة الله ومنهاج رسول الله لإعلاء كلمة الله في إطار عمل جماعي منظم ومدعم برباط روحي محكم أساسه المحبة.

والمحبة هي أَل شجرة الإيمان الثابت، وإلا فهو المنبت، لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى. يقول الأستاذ حسان حتحوت متحدثا عن هذا المعنى عند الشهيد حسن البنا: "وكان من الاصطلاحات الشائعة جدا على ألسنة أتباعه" المهم: الحب في الله". وكان يردد في درسوه: "سنقاتل الناس بالحب"، بل كانت البيعة التي صاغها

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لهم أن يعاهدوا الله على الاستقامة والمحبة والثبات على الدعوة" (من مقال حول حسن البنا، حسان حتحوت، مجلة الأمة، العدد 55، ص 28).

هذه المحبة أو الصحبة بين الأستاذ وتلامذته المعززة بذكر الله اجتماعا عليه وانجماعا، هي كانت روح العمل، وكانت الجماعة جسده، وكانت الأصول العشرون عقله الضابط، والرسائل والوصايا في التعليم. ويبقى السؤال الجوهري والجهوري في الآن ذاته، هل يملك جسد بلا روح أن ينمو، وعقل بلا روح أن يضبط، وجوارح بلا روح أن تنشط وتنفذ؟ إلا أن يكون هذا النمو اصطناعيا لا طبيعيا، ما يلبث أن يصبح انتفاخا ورميا وزبدا رابيا، ويكون هذا الضبط استجابة اضطرارية أو إكراهية أو مصلحية نفعية، بعيدا عن رقابة الله وخشيته. ويكون هذا النشاط حركة جوفاء وجعجعة بلا طحن، وتعبا ونصبا بلا طائل.

عودة إلى العنوان من جديد

والذي نأسف له أشد الأسف أن "مذكرات" البنا ورسائله قرئت قراءات أفقية سطحية أو انتقائية جزئية، بعقلية تأويلية أو تبريرية مصانعة لم تنفذ منها إلى بيت القصيد، أو ذهبت بها مذهبا آخر غير ما كان يروم الشهيد وغير ما كان يريد. فإذا كان الأعداء، من داخل مصر وخارجها، قد عملوا وسعهم على التشويش على دعوة الشهيد والتحريش ضدها بمكر الليل والنهار، فإن حساده كانوا، عن وعي منهم أو عن غير وعي، عونا لأولئك الأعداء

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

على الشهيد، إن بشيطنة خرساء، أو بكذب وافتراء، أو بعداء واستعداء.

والمطالع في بعض الصحف والمجلات والكتب المسطرة بأقلام هؤلاء المكرة الحاسدين، أو ما نقل عنها في مذكرات الشهيد، رحمه الله، وبعض كتب الإخوان ومجلاتهم، سيلفي نفسه أمام ما يحز في النفس من نسل هذا الحسد الذي لا يحد، وسيف هذا الحقد الذي لا يغمد، وسيل هذا العداء الحالق الذي لا يرد، ولا ينفع معه رد.

يقول الدكتور توفيق علوان، مبينا كيف واجهت جماعة الإخوان المسلمين إشاعات المغرضين، بإيعاز من مرشدها الذي دعاهم إلى: "الإعراض عن تفاهات مبشري الفتنة ومروجي التخاذل، والإعراض عن دعاويهم وأوهامهم، والانصراف إلى ما هو أنفع للإسلام وأجدى لنصرة الرسالة، وباختصار اعتماد سبيل المواجهة العملية، لا المواجهة الكلامية فحسب (...) بل إنه (يعني حسن البنا رحمه الله) حذر أشد التحذير من استفراغ الجهد والطاقة في تتبع المشاغبات التي يلجأ لها هؤلاء، إذ هم في شغل عظيم بوضع العراقيل، وإثارة الفتن. كأن شغلهم الشاغل هو إيقاف مسيرة الجماعة، دون أي تبرير أو سبب لكل ما يصنعون. بل ربما لجأوا لألد أعداء الإسلام يستنصرونهم على فعلهم الأثيم.

"فأنت إن شئت إقناعهم، أو مقارعتهم، فأنت تحرث في الماء، وتستنبت البذور في الهواء. فإن كنت جادا في السعي لنشر رسالتك، ماض لا تردد لأمر ربك، كان عليك ألا تضيع الوقت

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فيما لا طائل وراءه، بل اغتنمه واقتنصه فيما هو نافع مجد على الهدف الأصلي.

"يقول الإمام في مذكراته: "تتعرض الدعوات في سيرها إلى كثير من الإشاعات والأكاذيب يطلقها المغرضون الذين امتلأت قلوبهم بالحسد والغيرة من العاملين للإسلام. فلا بد من اعتماد قاعدة مهمة في سير الدعوة العملي، وهي أن الإشاعة والأكاذيب لا يقضي عليها بالرد أو بإشاعة مثلها، ولكن يقضى عليها بعمل إيجابي نافع يستلفت الأنظار ويستنطق الألسنة بالقول، فتحل الإشاعة الجديدة وهي حق، محل الإشاعة القديمة وهي باطل"."
(د. توفيق علوان، نجم الدعاة حسن البنا، ص **121-122**).

من هنا كان شق عنوان هذا الكتاب "حسن البنا بين ظلم حساده".

وأما أبناء حسن البنا، وهم من صحبوه، وعنه أخذوا، وفي حجر تربيته تلقوا دفء المحبة، ورضعوا لبان العلم النافع المنشئ للعمل الصالح، وتنسموا عبير اليقين في النبأ العظيم، وسمعوا صوت الحق الدال على الصراط المستقيم، فقد تدثروا بنعمة تلك الصحبة المباركة وحدهم، وشربوا كؤوسها خفيفة حلوة، حتى ارتووا وطعموا منها وانتشروا يسعون بنورها ويفيضون، وهي جارية في عروقهم جريان الماء في الجداول والكهرباء في الأسلاك. لكن من أتوا بعدهم سهوا —وهم معذورون على كل حال– عن هذه الصحبة الربانية، وروحانية بداية التأسيس، والأجيال الأولى البانية، بعد أن اضطرهم سيف الحاسدين والجاحدين المصلت فوق رقابهم أن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يداروا التيار ويصانعوه. ومع مرور الأيام، ومع بعد العهد بين الأجيال اللاحقة وأهل الحظ من الله والغناء والسابقة، أضحت المداراة مجاراة، والمصانعة صناعة، حيث بدأنا نسمع محاضرات ودروسا وندوات تدعو إلى محاربة الأولياء واستباحة حرمهم، وتتخذ أخبارهم –أعني منها الصادقة الموثقة التي يحتملها الشرع– هزوا، وتحمل الأموات منهم تبعات ما فعله الأحياء، فتضع الكل في سلة واحدة من التكفير والتفسيق والتشهير. كما بدأنا نقرأ كتبا ومقالات لقادة من أعلام العلم والفكر والأدب فلا نكاد نجد فيها ذكرا لله والغيب والآخرة، حتى إنك لا تستطيع أن تميز الإسلامي منها من غيره إلا بعد معرفة اسم الكاتب، أو عنوان المجلة أو الجريدة التي فيها كتب. بل إننا لنرى في كثير من برامج الدعوة والتربية قلة الاعتناء بالجانب الإيماني الإحساني، الروحاني الغيبي الرباني، وأثره في الاستقامة والدعوة والنصيحة والجهاد.

يقول الأستاذ عبد العزيز بن ناصر الجليل في هذا المعنى: "فالمتأمل اليوم في مناهج التربية والتعليم يلاحظ القصور في هذا الجانب، وإذا وجد الاهتمام فهو قليل بالنسبة إلى الجوانب الأخرى. بل وصل الأمر عند بعض الموجهين في الدعوة إلى الاستهانة بهذا الجانب العظيم. وصرنا نسمع من يقلل من أهمية الكتاب أو المحاضرة أو الدرس الذي يركز على جانب التذكير والوعظ. فيقول: هذا كتاب وعظي، أو هذا درس يغلب عليه الوعظ، أو هذا مقال عاطفي ... إلخ. والمتأمل في كتاب الله، عز وجل، وأحاديث الرسول، صلى الله عليه وسلم، يرى جانب الوعظ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والربط بالآخرة والثواب والعقاب واضحا فيهما، أشد الوضوح". (عبد العزيز بن ناصر الجليل، قل هو نبأ عظيم، ص 17).

وهكذا اضطرت معاول الضغط المعنوي لفكر "الفرقة الناجية"، وعواصفه الصيفية، وغيرها من عوامل التعرية، الأجيال اللاحقة إلى التعامل بنوع من التقية مع نحلة الفهم السائد، والفقه الغالب، جنبتهم كثيرا من غوائل الجدال والتهارج القتال –وتلك حكمة مطلوبة– لكن زكاة هذه التقية، بل ضريبتها، إنما أداها أبناء الصحوة الإسلامية الذين، بعد أن طال الأمد بينهم وبين دعوة الجد الشهيد، رحمه الله، ألفوا أنفسهم أمام تحليلات مختلفة، وتعليلات متباينة، وتأويلات متضاربة، غاب معها وضوح الهدف ووحدة التصور حتى تعالت وسط الأمة صيحات، وسودت على صفحات "الأمة" (إشارة إلى الباب الذي فتحته مجلة "الأمة" على مصراعيه أمام أقلام المفكرين الإسلاميين تحت عنوان: أين الخلل؟) مقالات تتساءل، لا تمل من الترديد: أين الخلل وما العمل؟ من نحن وماذا نريد؟

وجزى الله خيرا الدكتور مازن فزوخ الذي أعد كتيب "ثوابت العمل الإسلامي عند الإمام الشهيد حسن البنا" مقدما له بكلمات، ومضمنا إياه، من كلام الشهيد، جملة من الأصول والرسائل والمذكرات، دالة على أن الرجل لم يكتب له القبول في ميدان الدعوة وقلوب الدعاة، إلا لأنه صحب وذكر، وجمع على الله قلب من هاجر وقلب من نصر، فربى وعلم وجاهد وغير.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يقول: "فقد انتشرت الكتب الإسلامية الفكرية الحركية والدعوية في الأسواق وفي أيدي الناس، وكثرت، بالتالي، الآراء المطروحة حول المنهج السليم للعمل الإسلامي، ونسبت بعض تلك الآراء –عن حسن قصد– إلى الإمام الشهيد حسن البنا، مما أدى إلى حدوث بعض الالتباس عند بعض شباب الحركة الإسلامية، حتى إن بعضهم أخذ يحاكم قيادته إلى تلك الآراء، ويرى عدم تطبيقها انحرافا عن منهج الحركة الإسلامية الأَّيل، فكان لابد، بالتالي، من أن تقوم الحركة ببذل بعض الجهد في محاولة إخراج فكر الإمام الشهيد لأبنائها مجردا من الاجتهادات الشخصية والآراء الفردية، فكانت هذه الدراسة حول ثوابت العمل الإسلامي عند الإمام حسن البنا.

"إن المادة التي تحتويها هذه الدراسة ليست جديدة، وإنما هي خلاصة فكر الإمام الشهيد مقتبسة من مذكراته ورسائله وما نقله عنه ودونه بعض الإخوان القريبين منه." (ثوابت العمل الإسلامي عند الإمام الشهيد حسن البنا، إعداد الدكتور مازن فروخ، ص 5–6).

وأهيب بالقارئ الكريم أن يعود إلى الكتاب، ففيه ما يشفي الغليل، ويقف بك على آراء الإمام في مختلف القضايا والمسائل بأمانة ودقة دون تأويل أو تبديل أو زيادة أو نقصان. من هنا جاءت فكرة الشق الثاني من العنوان "وسهو أحفاده".

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وبعد، فأي قارئ نريد؟ وكيف نعتبر ونستفيد؟

رحم الله حسن البنا، ورحمنا بذكره، ونفعنا بعلمه، وجعلنا على أثره وقدم رسول الله، صلى الله عليه وسلم وأحبابه، لنكون على شرعة الله ومنهاج نبيه. ورد الله كيد أعدائه في نحورهم، وجعل تدميرهم في تدبيرهم، ونبه حساده وحساد جماعته إلى صفاء القلب وفضيلة العدل والإنصاف، والتبين والاستيضاح، والشهادة بالقسط وعدم غمط الناس حقوقهم، وبخسهم أشياءهم، والنظر إليهم بأعين الأعداء أو استعداء الظالمين عليهم بالمكر والدهاء "ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله" (فاطر، **43**) "ومكر أولئك هو يبور" (فاطر، **10**).

وهدى الله أحفاد الشهيد للعودة إلى كتبه وسيرته، ومذكراته وأقواله ورسائله، للتعرف على شخصيته عن قرب، ومعاينة فكرته عن كثب. وليتبين لهم أن الدعوة إلى الله تربية وعلم وجهاد، وأنها نسبة قلبية إلى أهل الله المؤمنين المتقين المبشرين الذاكرين وسط الغافلين، القائمين وسط النائمين، الصائمين وسط المتخمين، المجاهدين وسط القاعدين، الصادعين بالحق وسط الشياطين الخرس الصامتين، الرجال المحسنين الذين سبقت لهم من الله الحسنى فاستيقظوا، وإلى الله عادوا، ثم أحسنوا فنالوا الحسنى وزيادة، وتابوا واستغفروا، وذلوا لله وانكسروا، واعترفوا بذنوبهم وأقروا، واضطروا إلى الله وفروا، وسارعوا إليه وبادروا، ثم عبدوا الله بالفرض والنفل تقربا، وجاهدوا أنفسهم حملا لها على ما تكره من ترك فضول الكلام ابتغاء البهاء، وعن فضول المزاح ابتغاء

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الهيبة، وعن الاشتغال بعيوب الغير ابتغاء إصلاح عيوب النفس، وعن حب الدنيا ابتغاء حب الآخرة، وعن التجسس في كيفية الله تعالى ابتغاء البراءة من النفاق، كما قال الفاروق عمر رضي الله عنه وأرضاه.

إننا نريد من قراء هذه الشهادات عن الإمام ومنه، أن يقرأوها بعيون قلوبهم لا بشحمة أبصارهم، لكي توقد في جنانهم وسنان الإيمان، وتوقد في جنوبهم جذوة الإحسان، علنا نهب ملتاعين، علنا نخرج إلى صعدات العمل المضني الشاق على النفس نجأر خائفين طامعين، سائلين الله أن يقيض لنا مثلما قيض الله حسنا البنا للإخوان المسلمين حسن البناء الخبير المنيب، الصادق الذاكر المنعم عليه، الجليس الصالح، الخليل الفالح، الرفيق الناصح، الدليل المنهض، العالم العامل المجاهد.

ويا سعادة من بحث فوجد، وزرع فحصد، وعرف ما قصد فهان عليه ما وجد، وإلا فإن كنت عالما مستغنيا، ووليا سويا، فالكلام مع غيرك من الفقراء المحتاجين إلى من يأخذ بأيديهم إلى الله، ومن مات ولم يفز بالله فلا نهاية لحسرته.

لو استقبلت من أمري ما استدبرت

وإذا كان حسن البنا قد قال في آخر أيام حياته قولته المشهورة: "لو استقبلت من أمري ما استدبرت لرجعت بالإخوان المسلمين إلى أيام المأثورات"، فلأنه علم علم يقين أن "المترفين أصحاب المنصب والثروات لا يتحركون إلا في آخر الركب، ويلتمسون مع

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ذلك الصدارة والرئاسة، ويفسدون العمل الصالح بنياتهم المترفة (...).

"كان أتباع البنا الأول من المساكين، من العمال والفلاحين، يبدأون بتواضع تلمذتهم للشيخ، يتعلمون الوضوء والصلاة يجمعون القروش ليبنوا لله بيتا. ولقد كاد البيت يكون أمة منبعثة لولا أن هب مترفو الفكر والمال والجاه يجرون خلف الزعيم الناجح، ويرهقون جهاده. وكان رجل دعوة ليس له أن يستعمل وازع السلطان، ليعيد تربية المترفين (...) وكانت المطالبة السياسية بديل الأسف عن تلك التربية المتكاملة التي أنِشأها مجدد هذا القرن (الرابع عشر) وإمامه، رضي الله عنه، وجازاه عن المسلمين خيرا (...).

"ولا يزال عمل البنا وأصحابه خميرة ونموذجا عمليا يصرخ فينا أن الإسلام الفكري إسلام مبتور، وأن ذكر الله وصحبة أهل الله هي المنهاج، إن أقامها العلم على منهاج الجهاد والدعوة على بصيرة". (الإسلام غدا، ص **457**).

ثم أما بعد

فلعل قارئا لم يتخلص من نظارته السوداء يقرأ هذه الصفحات، بعضها أو كلها، فيذهب به استعجال الحكم، وعدم القصد، وسوء الظن والتأويل إلى القول بأن محرر هذا الكتاب صوفي، أو مترذي بزي الصوفية، فيحملني مالا أطيق من تبعات غيري أحياء وأمواتا، وينكر علي دفاعي عن حسن البنا –والرجل لا يحتاج إلى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

من يدافع عنه فهو بالله غني، وفي ثناء الخلق زاهد، وقد أفضى إلى ما قدم، ونعم ما قدم – أو يدعي أنه يعرف الرجل أعمق مما عرفته به، وأنه أكثر إلماما مني بفكرته، وأنا الغريب الدخيل، أو يقنع من معرفته وفكرته بما قيل وكتب، وكل ذلك من مطايا الحرمان. إذ القناعة من الله حرمان، والمنكر يحرم مثلما يحرم المدعي. وإني أربأ بك، أخي القارئ، أن لا تتبين فتظلم، أو لا تتمعن فتجانب الصواب؛ ويحيد قطار همتك عن سكة الحق وفصل الخطاب. أقول لك في نهاية مطاف هذا الكتاب:

ما كان حسن البنا صوفيا فقط، ولا "سلفيا" فقط، بل كان ربانيا نبويا، وعالما مجددا، ومجتهدا مجاهدا. ولكنه صحب الصوفية ونشأ بين ظهرانيهم وأحبهم وتأدب معهم، وشهد لهم شهادة الحق ونصح لهم، وظل وفيا لصحبتهم، وأنشأ أتباعه على حبهم واحترامهم. كما نسج تربيته لأتباعه على منوال تربيتهم لمريديهم، اجتماعا على الذكر والوظيفة والقيام والمجالسة والزيارة، والتماس الخير عند أهل الخير.

فأين نحن من هذا كله، ونحن نرى بعض الدعاة يجرون ألسنتهم على ما لا يحمد من الطعن في أولياء الله وإذايتهم أحياء وأموتا.

صحيح أن الطرق الصوفية اليوم غيرها بالأمس، وأين طمع اليوم من عفة الأمس؟ وأين شره اليوم من زهد الأمس؟ وأين ابتداع اليوم من اتباع الأمس؟ وأين تمني اليوم وتعنيه من إرادة الأمس؟ وأين كدر اليوم من صفاء الأمس؟ وبالجملة، أين شيوخ اليوم من شيوخ الأمس؟ أستغفر الله، لعلي عممت، وفي شيوخ اليوم أيضا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

رجال أفاضل، وأهل إيمان وتقوى وبشرى وعرفان. وأين مريدو اليوم من مريدي الأمس؟ وقد عاد الإسلام غريبا كما بدأ، وكثر الادعاء والانتحال والافتعال، وقد صدق شكيب أرسلان إذ قال: "لقد عادت البدور أهلة، وذهب المجد إلا أقله، وصارت الأوساط أطرافا، واستحالت الأثواب أطمارا، ولم يبق من تلك المعالي السوالف إلا أخبار وسير ومثلات وذكر وحكايات." (مقتطف من كتاب "الحلل السندسية من الأخبار الأندلسية).

لا معنى لوجود صوفية القعود في زمن الجهاد

ثم إن الصوفية أمس كان مبررا وجودهم وانعزالهم، والناس قريبو العهد من النبوة، والمعروف معروف، والمنكر منكر، والمساجد مفتوحة، والعلماء فتواهم راجحة لا مرجوحة، والشريعة، رغم فسق الحكام وفجورهم، قائمة حاكمة، والجهاد فرض كفاية. أما اليوم فقد طال الأمد، وقست القلوب، وأصبح المعروف منكرا والمنكر معروفا، والحق باطلا والباطل حقا، وأفواه الدعاة إلى الله مكممة، والمساجد مؤممة، واستبدلت القوانين الوضعية والمذاهب التحررية بشريعة الرحمان، وبيضة الإسلام مكسورة، وأمة الإسلام مقهورة، يتداعى عليها الأعداء كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، ليس من قلة بل من كثرة، ولكن غثاء كغثاء السيل، بسبب من الوهن الذي أصابها بحب الدنيا وكراهية الموت.

فلا مسوغ، والحال هذه، للقعود عن الجهاد بدعوى الزهادة والروحانية، وللابتعاد عن العباد نشدانا لصلاح النفس وتغيير ما

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بها مع الاستقالة من هم تغيير ما بالأمة والمطالبة بحقها في معرفة الله إحسانا، والحكم بما أنزل الله عدلا. ومن فعل فقد ظلم نفسه، إذ حرمها فضيلة الجهاد وعطل فريضته العينية. وظلم الناس، إذ حجب عنهم، بتفرجه على مآسيهم ورقصه على جرائحهم، شمس الهداية، وبارك بانسحابه ما يمارس عليهم عضا وجبرا ووصاية وحجرا.

فلعل رسم خريطة قرآنية للمجتمعات البشرية كالتي رسمها الدكتور إدريس الكتاني، حفظه الله، مما يساعد كل مسلم ومسلمة، وطائفة وجماعة، على البحث عن مكانها وموقعها في جغرافية الدين إسلاما وإيمانا.

ولعل تصنيف الأستاذ عبد السلام ياسين لمعادن الناس مما ينبهنا على المعدن الذي منه صنعت نفوسنا، وصيغت طباعنا. هل من ذهب إحسان الرجال؟ أم من ورق الإيمان وصلاح الأعمال؟ أم من نحاس إسلام فردي فاتر لا يسمن من حق ولا ينجي من ضلال؟ أم من حديد بارد لا فائدة من الضرب فيه؟ أم من قصدير القصور والتقصير؟ أم من خليط، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

يقول الأستاذ عبد السلام ياسين: "... والناس معادن، منهم من يجمعك به دائرة الحلال والحرام، فإن خاطبته بما يقتضيه هم الآخرة والتزود لله بزائد عن الصلاة والتوحيد والفرائض من إصلاح الدنيا والتصدي للظالمين وجهاد الكافرين، أغربت عليه. ومنهم من إذا ابتعدت به عن منطق "المواجهة" و"الحل الإسلامي"

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وبناء الدولة وحاولت الحديث إليه عن إصلاح النفس والتصفية بالفرض والنفل وحفظ القرآن وقيام الليل فقد فجعته فيك حيث كان يظن إسلامك شيئا آخر غير ما يعتبره عبادات نتفرغ لها بعد قيام دولة الإسلام. ومن المسلمين والمؤمنين، بل من عامتهم، من غاب عنهم غيابا تاما، وهم يقرأون الكتاب وسنة من نزل عليه الكتاب، ما معنى وجود العبد؟ وما المسلك لنيل كماله؟ وما الدرجات في الآخرة؟ وما القرب من الله عز وجل؟ وبم يكون التقرب، ومع من وكيف؟ والعاكفون في الزاوية الصوفية أو الطرقية، حدثهم عن هذا وعن هذا فقط؛ تشوش عليهم إن أسمعتهم من أمر الدنيا وهم الأمة وتخلف المسلمين وواجب الجهاد والتشمير للصراع مع الجاهلية ما هم فيه من ذكر أو سماع أو أحوال أو خيال أو قعود دسم. لا يقدرون يتجاوزون ما نشأوا على سماعه جيلا بعد جيل." (مقتطف من رسالة من الأستاذ عبد السلام ياسين إلى إخوانه بتصرف)

والمقصود من تصنيف معادن الناس، فضلا عن معرفة المعدن الذي به صنعت نفوسنا، وصيغت طباعنا، هو أن نعرض هذا المعدن على خبرة صناع الحياة والموت والتاريخ ليدخلوه فرن الصحبة، في معمل الجماعة ليفتن بنار الذكر فيتخلص مما علق به من دسائس النفس ورعونات الطبع، ويتحول بعد صهره إلى مادة الفطرة الخام لتعاد صياغته من جديد على نحو يعجب الصانع، ويغيظ المنافس والمستعدي.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يقول الأستاذ عبد السلام ياسين بأسلوبه البلاغي البياني، ما به يوضح هذه المعاني: "والمطلوب إلي وإليك وإلى كافة المؤمنين الذين يريدون أن يصونوا حياتهم من العبث المفضي إلى الحسرة والندامة، في الدنيا ويوم القيامة، هو الجهاد المستمر والعمل الصالح. ليست العبرة أن يمضي المؤمن العمر في الفرجة على مشاهد الأنوار. يكون مغبونا يوم الجمع والتغابن إن جاء الناس بالعمل الصالح، وجاء هو بسجل مشاهدات ما كشف له. ومن كشف الله عن عين قلبه فرأى بعض حقائق ما هو غيب عن غيره، محجوج إن لم يوف الشريعة حقها. محجوج أكثر من غيره ومسؤول. فليحترس من سكرة الأحوال وما يستطاب من الأوهام. ارتقى الرجال إلى درجة المجاهدين، وهي أعلى من درجة المكاشفين شرط أن يكون للمجاهدين نية وطلب لوجه الله، عز وجل، وصحبة وذكر وصدق. وهنا بقي الفقراء الطرقيون يحملون السبحة، فتتدفق عليهم أنوار الذكر، فيحسبون أنهم بلغوا القمة. القمة الصحابة رضي الله عنهم، جمعوا الإرادة القلبية إلى الشغل بالذكر الدائم إلى الجهاد المستديم. وكانت صحبتهم لخير الخلق، صلى الله عليه وسلم، رفعتهم عن رخاوة القعود واستلذاذ المشاهد والبطالة في الزاوية." (المرجع السابق).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

خاتمة

- خاتمة
- حسن البنا حسن البناء

خاتمة

تلك كانت مذكرات الشهيد، قدمناها للقارئ الذي نقصد والقارئ الذي نريد، بمقدمات أتبعناها بشهادات، ثم علقنا عليها بخلاصات وملاحظات، واستخلصنا منها بعض الدروس والعظات. لكن هذا كله لن يغني فتيلا إن قرأنا بأعين الأعداء والحساد والجاحدين. ولن يكون لنا دليلا إن استغنينا بالقراءة عن الاستفادة من دروس المذكرات، وبالاستفادة منها عن التزود بها في رحلة الحياة بحثا عن إحسان الرجال طلبة ورغبة، ورجال الإحسان محبة ونسبة. رجال الإحسان الذين أحصى القرآن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

صفاتهم: تصديقا وفهما، وإرادة وعزما، وصبرا وحلما، وجهادا في سبيل الله وشهادة وقياما، وذكرا لله وصياما، ومعرفة والتزاما. وغيرها من الصفات المتوجه بهذه العبارات القرآنية المبشرة: "والله يحب المحسنين".

فبصحبة هؤلاء الرجال يتزكى المؤمن ويتعلم الكتاب والحكمة. وبصحبتهم يقتحم العقبات الفتنوية الثلاث: أنانية مستعلية وعادة جارفة وذهنية رعوية. وبصحبتهم يواجه تحديات واقع الجاهلية والكراهية، ليغير الله ما بنفسه، قبل ومع أن يستعمله في دعوته ليغير الله به ما بالأمة من ظلم وجور، في ظل العض أو تحت حكم الجبر.

فإذا كان حسن البنا قد حظي منا بهذا الاهتمام فلأنه أشهر من نار على علم، وللأسباب التي ذكرناها في مقدمات هذا الكتاب. لكن هذا لا يمنع من البحث في سير الرجال، ومذكراتهم، وطبقاتهم المكتوبة بقلوبهم وأقلامهم، وذاك أمثل، أو بقلوب من عاصرهم وعاشرهم، عما يؤكد حقيقة تلك الصحبة الربانية البانية.

ونخص من سير أولئك الرجال وشهاداتهم ومذكراتهم ذكرا لا حصرا، الأقربين إلينا عصرا كالأمير عبد القادر الجزائري، وسعيد النورسي، والسنوسي بليبيا، والمهدي بالسودان، وأحمد بن عرفان وغيرهم. يسر الله لهؤلاء الرجال من يعرض درس حياتهم على العاملين في حقل الدعوة والجهاد، حتى يعلموا أن شجرة القادة والقدوات الرواد، أصلها في أرض الصحبة ثابت، وفرعها فوق تربة الذكر نابت، وفي سماء الصدق شامخ باذخ، تؤتي أكلها كل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حين بإذن ربها صدقة جارية، وعلما ينتفع به، وولدا صالحا يدعو. أما المنبت فلا ثبات له ولا نبات.

نسأل الله أن ينزل على حسن البنا شآبيب رحمته، وأن يسكنه فسيح جناته، وأن يجعله من الخالدين في نعمة النظر إلى وجهه. وأن يجلسنا وإياه على منابر من نور على سرر متقابلين في أعلى عليين مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين.

ونسأله تعالى أن يقيض لأمة خير البشر رجالا في هذا القرن الخامس عشر على التجديد أقدر، وبه أجدر. وإننا في هذا الواقع المنكر لأمام عقبات كأداء، وتحديات كبيرة، والله أكبر.

كما نرجوه، سبحانه، أن يجعلنا على قدم أحبابه، وأن يجمعنا وإياك، أخي القارئ، مع أوليائه وأصفيائه، مستخلفين قائمين لله بالحق، شاهدين بالقسط، مؤمنين أقوياء أمناء ثابتين في رباطهم لا يتزعزعون عن جادة الحق مهما كانت العقبات. وأن يستعملنا في دعوته لتغيير ما بأنفسنا إحسانا، وتغيير ما بالأمة عدلا، بما يناسب العصر وعقباته، وتحدياته ومستحقاته. إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير. نعم المولى ونعم النصير.

والصلاة والسلام على خير الورى، من نبت في أم القرى فأوثق الله به العرا، محمد أفضل من مشى فوق الثرى. وعلى آله البررة وخلفائه وباقي العشرة المبشرة، وصحبه أولي السبق والهجرة والنصرة، وإخوانه وحزبه إلى يوم الدين.

والحمد لله رب العالمين

انتهى بفاس يوم الخميس فاتح جمادى الأولى **1418**هـ.

This file was downloaded from QuranicThought.com

حسن البنا حسن البناء

حسن البناء وفي فؤادي لوعة*****من كيد ظلام وخسة حاقد

وفسوق حساد رموك ببدعة *****أن فزت بالإحسان صحبة عابد

وجمعت إخوان الصفاء على التقى*****وعلى الفداء وكنت خير مجاهد

أنجبت أبناء سعدت ببرهم*****والابن يشرف إذ يبر بوالد

لكن أحفادا نسوك وما دروا*****أن المعية لا تكون لجاحد

خل على دين الخليل إذا وفا*****ليس الخليل إذا أخل براشد

لو أنصفوا لاستقبلوا من أمرهم*****ما استدبروا من صحبة ومحامد

جددت دينا للعباد من البلى*****فسما وعاد إلى الصفاء كما بدي

يا ليت شعري من يجدد ديننا*****لخلافة أخرى بقومة شاهد

حسن البناء وسيدا قطبا به*****نحيي الورى بمثال حكم راشدي

عودا على بدء الهداية بعثة*****بأعزة شم الأنوف أماجد

This file was downloaded from QuranicThought.com

. حسن البنا بين ظلم حساده وسهو أحفاده ـــــــ

ثم الصلاة على النبي وآله*****والصحب ما حن المشوق إلى غد

ذ. منير الركراكي

المصدر: موقع جماعة العدل و الإحسان

www.aljamaa.com

تجميع و عناية

مكتبة الخطاب

www.khitab.com

This file was downloaded from QuranicThought.com